

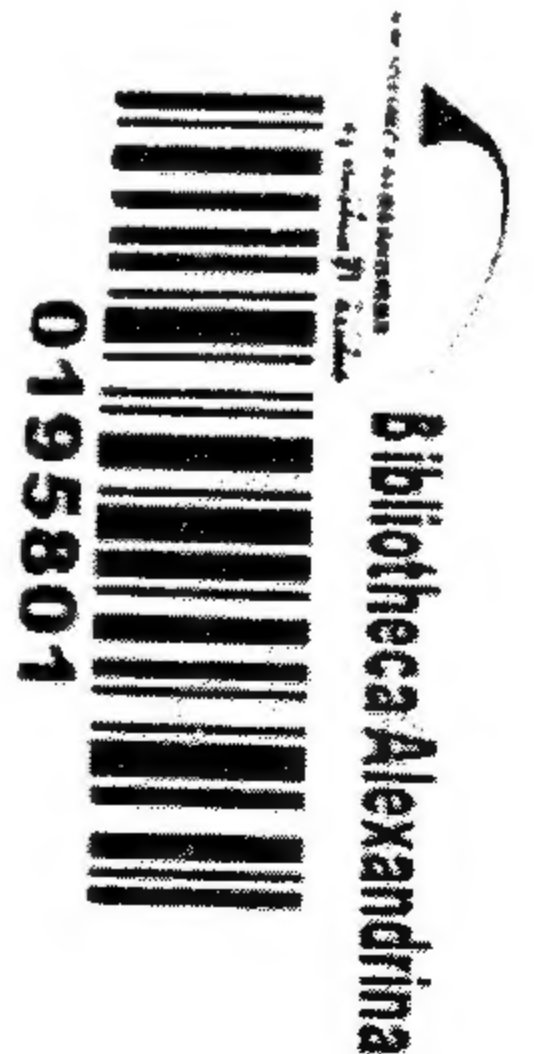
كتب فوفية

الكتاب ٩٢

أبجدية عربية قديمة

بمقام
مصطفى عبد اللطيف السحري

المنح في قروش



الأستاذ الدكتور
عبد العزيز بن
يحيى بن اللغة العربية
الأستاذ
الأستاذ

كتاب فونية
الكتاب ٩٢

أبجدية عربية جديدة

بمقام
مطعمي عبد اللطيف

المنشور في

مكتبة

تمهيد

نشهد في السنين الاخيرة ازدهام المكتبة العربية في كثير من بلاد العربيه يكتب ورسائل وصحف كثر متباينة المذاهب والثقافات الفكرية .

وليس في هذه الكتب ما يتناول الوضعية العربية ؛ او القومية العربية ؛ او الشخصية العربية ؛ الا القليل النادر .

وهذه الظاهرة لها دلالتان ؛ مختلفتا الوجه ؛ فهي ان دلت في وجهها الاول على تلقي الشعوب العربية لمختلف الثقافات ، وعلى حيدة الحكومات العربية الفكرية . وهذا وجه طيب . الا انها تدل في العمق على حيرة الشعوب العربية وعدم استقرارها الفكري بل تذبذبها الايديولوجي . وعلى ان كثيرا من كتابها وادبائها ومفكرها لم تترشح لهم ايديولوجية مستقلة . او بمعنى آخر افكرية فلسفية محددة منبثقة من تاريخها وتقاليدھا الاصلية وطابعها الخاص المميز .

ونقصد بالايديولوجية في هذا البحث . الاصول الجوهرية الكبيرة التي تستمد جذورها من تاريخ الامة وفلسفتها . وروحها العربي المتميز القسما ، والتي تتغير وتطور بتطور العصر وتقدمه وتصير عقيدة متأصلة فيها يقوم على اضوائها منهاج النهوض الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، والعلمي والادبي والفني .

ولن يثمر اصلاح او تغير جزئي او انقلاب اجتماعي ثمرته المرجوة في اي بلد من البلاد العربية ، اذا لم تدعمه فكرية فلسفية رشيدة تنتظم مناحي حياتها المتنوعة وتسير الطريق لاهدافها التقدمية .

موقفات العقيدة

واذا كان يبدو انه من الصعوبة ايجاد العقيدة التقدمية في بلاد غطت على حضارتها المشرقة الظلمات قرونا طويلة ، ووقف نمو شخصيتها الاستعماري التركي او الانجليزي او الفرنسي . ودحا

من الزمن فجعلها تقبل وضعيتها الذليلة وتسكن له كالبقرة
الطوب الذلول .

فقد صار من السهل اليوم ، بث هذه العقيدة ، بعد ان حصلت
بعض البلاد العربية على استقلالها ، وهبت اليقظة في باقى البلاد
العربية لرفع النير الاجنبى عنها ، فضلا عن وجود كوكبة في اغلب
البلاد العربية من الرواد والمفكرين ، والادباء الاحرار الذين
يجاهدون الوضعية الفاسدة ، يضعون المبادئ فوق كل اعتبار ،
والحقائق فوق كل تراث اجتماعى بال .

ومهمة هؤلاء الرواد شاقة عسيرة ، تتطلب نفاذ البصيرة
والشجاعة النادرة والجهود المضاعفة ، والاذهان الحصيفة
الناضجة المتسامحة ، لبث مبادئ التقدم في العاديين من الناس ،
وايجاد التفاهم بين اصحاب الفكريات المتضاربة في الشرق العربى ،
وهذا التضارب هو في اعتقادنا من عوامل التأخر والتناحر بين
ابناء البلاد العربية وبين بعض طوائفها .

تضارب الفكريات

فالملاحظ في شرقنا العربى ؛ توزيعه بين فكريات متضاربة
تختلف قوة ووهنا ، فهناك اتجاه ثبوقراطى طائفى ينزع الى مجازاة
التقايدين ، والسير على منوالهم .. واتجاه ديموقراطى يجارى
الغريبيين وينبع من تقايدهم .. واتجاه اشتراكى متطرف او
مادى ثورى ينزع الى مساندة الكتلة الشرقية ، وانتهاج نهجها في
كل صغير وكبير ..

الفكرية الديمقراطية الغربية

هناك فريق يرى في الفكرية الغربية الديمقراطية ، ونعني بها فكرية غرب أوروبا ، المثل الأعلى لأقدوة ، ذلك لأن هذه الفكرية تعتمد الحرية الفردية والكرامة الانسانية ، والمساواة القانونية ، والفتوحات العلمية . هي فكرية عقلية في الغالب تعتمد على حقائق العلم والتقدم المادي ، وقد كان من آثارها ازدهار الصناعة في البلاد الغربية ، ورواج التجارة .

ولكن هذه الايديولوجية اختلطت بنزعة التملك والاستغلال ، ودانت بالقوة وديانة المصاحبة ، وكان من آثار هذه النزعة استغلال الأتطوائف الشعبية ؛ من فلاحين وعمال ، ومثقفين ، واستعباد الأمم الصغيرة واستغلالها ؛ ومعاملتها معاملة مجردة عن الانسانية .

وقد تأثرت هذه الايديولوجية بمذاهب متنوعة متضاربة ، تأثرت بمذهب فرنسيس بيكون الانجليزى (١٥٦٠ - ١٦٢٦) ، ورينيه ديكارت الفرنسى (١٥٩٦ - ١٦٥٠) اللذين كانا يعتقدان أن التقدم المستمر هو ثمرة تطبيق العلم على الاعمال البشرية . وتأثرت بالفيلسوف الانجليزى جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤) ودافيد هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦) اللذين وضعوا بذرة النزعة التجريبية ، وتقوت هذه النزعة في القرن الحاضر حيث تغلب النزعة الوضعية المنطقية .

والى جانب هذه النزعة التجريبية وجدت النزعة العقلية فى فرنسا وألمانيا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وهى نزعة تؤمن بالعقل وحده ، وكان من روادها الفيلسوف الهولندى اسبيونزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) ، والفيلسوف الالماني البينتز (١٦٦٤ - ١٧١٦) ، وكلاهما رجع الى العقل فى تفسير كل شىء مع اختلافهما فى التعاليل ، ومن ثمرات هذه النزعة العقلية ؛ ازدهار البحث الحر

والى هاتين النزعتين ؛ وجدت نزعة مثالية مناهضة للعقلية . بواسطة الفلاسفة الالماني كانت وهردر وفيخت ؛ وشيجل وكوزان ،

الذين ارتأوا أن الله عامل أصيل في التقدم الانساني ، فالفيلسوف كانت كان يرى أن العقل والحواس ينبوعا المعرفة ، أي أن المعرفة تقوم على الفهم وعلى التجربة ، وكان لهذه النزعة الرومانتيكية أثرها في الادب والفن والسياسة والفلسفة الأوروبية .

وهذه النزعات المختلفة قادت الفكر الاوربي قرونا ، ووجدت نزعات أخرى أثرت في الايديولوجية الأوروبية تأثيرا كبيرا ، وهي نزعة السيطرة والقوة التي نادى بها أمثال نيتشه الالماني الذي دان بالقوة ورفض الرحمة والانسانية ، ورأى أن التواضع والخشوع من ادب العبيد ، وبشر « بالوحش الاشقر » والفيلسوف الالماني فيخت الذي بشر بالعنصرية فكان يقول موجها قوله للالمان « اذا هلكتم كأمة فكل أمل للخلاص من أعماق الويل ، سوف ينهار » واذا غرقتم فكل البشرية ستغرق معكم دون أمل في البعث مستقبلا » والى هؤلاء نذكر الفيلسوف الالماني « هيغل » الذي كان يكبر من شأن الحرب ، ويرى أن المجتمع وحده هو الموجود ، وأن الافراد ليسوا سوى تجريدات ، وأن الدولة هي الفكرة الالهية على الارض .

وهذه النزعة الاخيرة ، نزعة القوة ، وحب الحرية والاستغلال سادت الايديولوجية الغربية ؛ أخيرا ؛ فلقبت الطبقات العاملة ظلما من الطبقات الحاكمة البرجوازية ، كما تجلت في معاملة القوميات الصغيرة معاملة مجردة من الانسانية ، والرحمة والعدالة

وتتكشف هذه الايديولوجية في أعمال الدول الغربية في التهام خيرات الشعوب الضعيفة وأبتزاز خاماتها ومواردها ، والضحك عليها في شراء منتجاتها ؛ كما يتضح ذلك من شراء القطن المصري بثمن بخس ؛ والاستيلاء على نفط الامم العربية بأسعار منخفضة ، وأدهى من ذلك عدوانها على هذه الامم بالقوة الغاشمة من أجل حماية مصالحها ، واقامة ائتلاف عسكرية كحلف بغداد لحراسة استثمارها المكشوف أو المبطن ، ولا يزال يرثى في الذاكرة عدوان انجلترا وفرنسا على مصر في آخر اكتوبر عام ١٩٥٦ عدوانا بربريا ، يتم على عودة الوحش الاشقر الذي بشر به نيتشه ، وعلى أن الايديولوجية الديموقراطية . قد فقدت الاس الروحي الذي تقوم عليه الديموقراطية أصلا . لأن الايديولوجية الديموقراطية

تعتمد العدالة وكرامة الانسان ، بل تنزل عن حقوقها للآخرين ،
وتعمل على أسعادهم .



ومع هذا فان انحراف الحكومات الغربية لا يمنعا من اعتناق
الايدولوجية الديمقراطية السليمة ، ومسايرتها في نزعتها العقلية
العلمية ، والتعرف على جوهر حضارتها وعلى روحها وفلسفتها

ويقول الانصاف : ان تأثيرنا الفكرى والمادى والثقافى بالغرب
كان أقوى من تأثيرنا بدول أخرى . وثقافتها الفكرية والمادية ماثلة
في مظاهر حياتنا . وتأثرنا بالنظم السياسية فيها لا يمكن انكاره .

ونعتقد أنه من الخير لنا اعتقاد الروح الديمقراطية النقى الذى
يحترم كرامة الانسان العربى ، ويقر مبدأ الحرية والمساواة ؛
وتكافؤ الفرص فى تهذيب الشخصية الفردية ، لا التكافؤ فى
خدمة الدولة وطاعتها طاعة عمياء ، أو التكافؤ فى عزلة الفرد
عن أخيه وعدم الاهتمام به .

وفى ظل الديمقراطية السليمة ينطلق العقل العلمى ، العقل
الذى يعال ويحل ، ويبدع ويخترع ، العقل الذى لا يتخدر برأى
من آراء السلف ؛ مهما تكن قيمته فى عصره ، العقل الذى لا ينظر
الى الحقيقة كأنها شئ ثابت لا يتغير . بل يرى فى الخير والشر
والجمال والقبح درجات .

وفى ظل الحرية الديمقراطية ، يجول العقل كل مجال ؛
ويجازف ويغامر ، ليصل الى الجديد فى المعرفة النظرية أو
السياسية ، أو المسائل الاجتماعية والاقتصادية .

ولما كان تراثنا الثقافى بالمعنى الواسع قد تأثر الى حد ما
بایدولوجية الغربية ، فجدير بنا أن لا نتجاهل خير ما فى هذه
الايدولوجية من اتجاه عقلى علمى ؛ واتجاه ديمقراطى سليم .
يشكلان عنصرا من عناصر الايدولوجية العربية التقدمية التى
ننادى بها ؛ وسوف نبسط القول فى هذا المجال لاحقا .

الفكرية الطائفية

وهناك فريق في مصر ، وفي بعض البلاد العربية ؛ يؤمن ان سرا أو جهرا بالفكرية التيوقراطية أو الطائفية الدينية ، وأن العودة الى هذه الفكرية هو عود الى الجنة الموعودة ، ويريد هذا الفريق تطبيق فكرته على سياسة الدولة ، واقتصادها ؛ واوضاعها الاجتماعية ؛ ومشكلاتها المعاصرة ، انه يرى في الماضي كل الحاضر ؛ ويحاول ان يستنبط من أحداثه الموعلة في القدم أحكاما تطبق على أحداث العصر وحاجياته ، وما يموج في محيطه من مشكلات . وهو بهذا يعذب الماضي عذابا شديدا . ويحاول ان يرتفع بطريقة مصطنعة في الحاضر .

وهذه الفكرية التي سادت في مصر قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ لاتزال تجد لها أنصارا في بعض البلاد العربية ، وفي عقول طائفة من المتدينين ؛ وبعض رجال الدين .. وبهذه الفكرية يصبح التقدم مستحيلا ، لاختلاف الوضعية المعاصرة في كل بلد عربي عن الوضعية الغابرة ؛ ولتفاوت الثقافة ؛ وتباين الامزجة والعقلية .

وقد تجمع لنصرة هذه الفكرية ركام كبير في العهد الماضي ، من المؤلفات ؛ فقد رأينا احدهم ينكر في كتابه الحديث الدستور والبرلمان ، ويعدهما مهزلة ؛ او كما يقول فكاهة يتساهل بها الفارغون ؛ ورأينا آخر يصف « القومية » في كتابه بأنها نكرة خبيثة ، ومؤامرة على قتل الدين « وثالث يرى ان « النظام الاقتصادي » نظام قائم بنفسه ؛ ويمكن تطبيقه في العصر الحاضر وأنبيئت احد القانونيين منهم الى الحملة على القوانين الوضعية وعالى النظم الادارية المتحضرة ؛ فذكر في سفر ضخمة انه ان بعض القوانين الجنائية باطلة بطلانا مطلقا .

ولم تقف أقلام الكتاب عند هذا بل تعدتها الى الميدان الاجتماعي فنبذت بحجاب المرأة والوقوف في وجه دعوة المرأة لحقوقها العصرية ؛ ونعتت هذه الدعوة بأنها « دعوة ماجنة » ؛ وخلاعة

وفجور ؛ لا يرضى بها شعب له كرامة وتاريخ !

ومثل هذه الآراء تنكرها روح التقدم ؛ وروح الدين معا ؛ فلم يقل ثقة من المثقات أن الدستور والنظم الديموقراطية تجافي روح دين من الأيأن ؛ لأنها ترمى الى حرية الافراد ومصانة الجماعات وتقدمها ؛ فنرى المرحوم الاستاذ عبد الوهاب خلاف يقر مبدأ اشورى وحكم الدستور (١)

ولم يقل دينى واسع الافق ان القومية مؤامرة تقتل الدين ؛ لان القومية عامل قوى فى توحيد طوائف الأمة وتجانسها وتضامنها ، وهى شعور وطنى زاد ارهاقا بوجود الاستعمار السياسى والاقتصادى . فهى كما يقول الاستاذ الكبير محمد بهجة الاثرى (٢) من أهم الحركات فى العالم الإسلامى ؛ وقد أفاض خالد محمد خالد فى كتابه « من هنا نبدأ » فى الدفاع عن القومية ووجوب اعتناقها وتنميتها ، لا جهادها ومناضتها ؛ لان « أية حكومة قومية ؛ تتسم بالقومية والوطنية ، أقدر من الحكومة الطائفية التى لا تمثل وحدة الأمة تمثيلا كاملا (٣) .

والقول بأن نظاما اقتصاديا غابرا يمكن تطبيقه على المجتمع العصرى قول عاطفى متحمس يدور حول نفسه ، وهو أشبه بالصواريخ التى تروع المشاعر ، وتنمحي آثارها بعد اطلاقها ؛ لان النظام الاقتصادى نظام متغير فى كل عصر ، ومقصود على ما تقتضيه حاجات الناس وما يحقق مصالحهم .

والقول بالانتقاض على القوانين الوضعية لمخافتها للدين من الأديان ، لم يقل به دينى بصير ؛ لان القوانين ينظر فيها الى اصلاح الكافة وخيرها ، وهى تتطور بتطور الحاجة والمصلحة ، واقتضاء الضرورة ؛ فلقد روى المؤرخون أن أبا جعفر عرض للإمام

(١) مجلة لواء الاسلام

(٢) كتاب « العرب والحضارة » للساتذة أحمد زكى ؛ وصباحي المحمصانى والخالدى ؛ والاثرى ص ١١٩ ، ١٢٠ - ١٩٥١ دار العام للملايين - بيروت

(٣) كتاب من هنا نبدأ - ص ١٥٦

مالك ورغبته في اعتبار آراء الامام قانونا للدولة ، فأجاب :

« يا أمير المؤمنين لاتفعل - فقد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث وروايات ؛ وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ، فدع الناس ؛ وما اختار كل بلد لانفسهم (١) . »

فكل تحويل وكل تجديد تشريعي توحى به الظروف ، كما جرى في أمور الاحوال الشخصية والجنائية وسواها. انما هو من روح تعاليم الدين ، لان الصالح العام يدعو الى ذلك ؛ والصالح العام ينبع من الدستور الاسلامي (٢) .

وأما القول بانتقاص حقوق المرأة والتشجيع على مطالبتها التسوية بالرجل في الاعمال العامة ، فهي آراء متحجرة جامدة معرقة للتقدم ؛ ولا تتفق مع روح الدين ، الذي أعطى المرأة في فجر الاسلام حقوقا لم تكن تحام بها ؛ بل حقوقا تجاوزت ظروفها الاجتماعية . وقد أيد هذه النظرية التقدمية طائفة من المفكرين الاسلاميين ؛ ونذكر منهم الاستاذ المرحوم محمد فريد وجدي . اذ رأى في كتابه « الاسلام دين عام خالد » إمكان نيل النساء حقوقهن الانتخابية ، والوصول الى دور النيابة قياسا على المساجلة التي جرت بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والمرأة التي عارضته في المسجد في رأيه بتحديد مهور النساء والحيولة دون المغالاة فيها ؛ وانه ليقول في الكتاب سالف الذكر (٣) : -

« أفلا يمكن أن تعد هذه سابقة في الاسلام ؛ اذا دعانا داعي التطور الاجتماعي في يوم من الايام أن نمنح نساءنا حقوق الانتخاب والحصول على النيابة في الهيئات التشريعية ؟ »

وجلى هذا الرأي من بعده خالد محمد خالد في كتابه « من هنا نبدا » (٤) وقال :

(١) كتاب « التشريع الاسلامي » للاستاذ جلال العنفي ص ٤٥

(٢) كتاب « الاسلام الحي » للدكتور أحمد زكي أبو شادي ؛

نشر الاستاذ رضوان إبراهيم .

(٣) ص ٢٤٦ (٤) ص ١٩٦

« ان الاسلام بمبادئه وتطبيقاته يقف بجانب المرأة ، ويبسارك وجهة النظر في اعطائها حق المساواة في مجتمعات الرجال ؛ ففي مسجد الرسول دارت مناقشة عانية في موضوع جنسى : وكان الرسول شاهدا ، وفي عهد عمر انشقت من الصفوف امرأة في المسجد وابدت رأيها في جراءة وحصافة في مشروع تحديد المهور ، واخذ عمر برأيها قائلا : اصابك امرأة واخطأ عمر ! » .

ومما تقدم يتضح ان هذه الايديولوجية الطائفية هي فكرية رجعية لايرضى عنها المفكرون العصريون ، ولا الدينيون الذين يدركون جوهر الدين النقى ؛ ويعرفون روحه المتطور ؛ الذي يقر مبدأ الصالح العام ؛ كما يعرفون انه عامل من عوامل التقدم ، وانه قوة روحية خلاقة لتغيير المجتمع ، وايجاد جمعية انسانية متآخية ؛ وانه رافد من الروافد المهمة لايديولوجيتنا الجديدة ؛ كما سنوضح قريبا .

الفكرية المادية

وهناك فريق ثالث منا يعتنق الفكرية المادية الديالكتيكية ويرى فيها لب السعادة والتقدم ، وهذه الفكرية تعتمد مادية الوجود ؛ والاهتمام بحاجيات الجماعات الحقيقية ؛ واستخدام المعرفة العامة بالطبيعة والمجتمع لتحقيق هذه الحاجيات ؛ ولها نظريات تضعها موضع التنزيل : منها نظرية الجبرية الاقتصادية ، ونظرية حتمية التقدم ، فالنظرية الاولى تؤكد ان طريقة الانتاج في كل عصر يقوم عليها سياسته وفكره وثقافته . والنظرية الثانية ان التقدم محتوم لان التناقض بين وضعين ، الوضع الايجابي والوضع السلبي ، يؤدي الى الصراع بينهما ، ويؤلف من صراعهما وضعاً جديداً تقديمياً .

ومن مقتضى هذه الايديولوجية ، سيادة العمال ، وذلك بالوصول بطريق العنف والثورة الى المراكز السياسية ؛ بالقضاء على المستغنيين الرأسماليين ، وتحرير المجتمع من أغلال الاقتصاد الرأسمالي .

ومن مقتضاها ايضاً تقلص الفرد في الجماعة ، والايمان بالوهمية الدولة ، والخضوع للحكام ؛ وديكتاتورية الحزب ؛ لان رأى الفرد ؛ كما يقولون مخطيء ، والحزب دائماً على صواب ؛ لان للحزب حكمته .

وتبعاً لهذا ، نجد هذه الايديولوجية لا تهتم كثيراً او قليلاً بالعنصر الروحي ، وتنظر الى المادة كعامل مؤثر في كل شيء ؛ وان العامل الاقتصادي هو العامل الوحيد الفعال في التطور والتقدم ، وما يقع في التاريخ او ما يحدث من ظواهر اجتماعية يرجعه الى هذا العامل .

ولسنا في مجال بسط الحديث في ان هذه الحقائق ليست كلية الثبوت ، ولكن يمكن القول في ايجاز بأن العامل الاقتصادي ليس العامل الوحيد في التطور والتقدم ، لان هناك عوامل أخرى روحية

وسيكولوجية لها أثرها في التغير الاجتماعي ، ولها أثرها وفاعليتها في الظواهر الاجتماعية والسياسية .

فظاهرة الثورة مثلا التي يظن أنها نتيجة محضة للعامل الاقتصادي قد تكون نتيجة لعوامل أخرى مثل انحلال الانظمة السياسية ، أو وجود تعصبات دينية ، أو نعرات جنسية ؛ أو تكون راجعة إلى المرونة الاجتماعية الحادة ؛ وهذا ما ذكره سوروكين في فصل له عن « سيكولوجية الثورة » .

وظاهرة الانتحار مثلا ، ليست نتيجة سوء الحالة الاقتصادية فقط ، بل قد تكون ثمرة من ثمرات الانحراف السيكولوجي ؛ أو الميول المنحرفة ؛ إذ أننا نجد من المنتحرين أغنياء وفقراء على السواء . ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب « تطور المجتمع » لكاتب الانجليزى براون ، إذ قال :

« ليس سبب الصراع في المجتمع اقتصاديا ، وبيئيا فقط . بل هو انفعالي أيضا . »

وإذا رجعنا إلى نفوذ بعض رجال الحكم من الطفلة نجد ان هذا النفوذ لا يقوم على العامل الاقتصادي : بل يقوم على عامل سيكوارجى فعندما وصل هتلر إلى الحكم بمناصرة الرأسماليين ، لم يخضع لاية سلطة . وتمكن من الحكم بمعاونة طوائف كبيرة من الشعب ، ومن بينهم أعمال : ومن هنا يبدو ان الرغبة في السلطة لذاتها . قد يكون لها أثر في التغير الاجتماعي ، أقوى من العامل الاقتصادي

بل إذا رجعنا إلى التجربة السوفيتية ذاتها ، فإنا نجد أنها أوجدت طبقة ممتازة : طبقة من الحكام البيروقراطيين ، ولم تنمر فيما خفية عليا ، بل إنها عدت الخلقية ظاهرة طبقية ؛ تختلف باختلاف النظام الاقتصادي للمجتمع .

وإذا كانت هذه التجربة صاغت لبيئات بعينها وأصلحت الماضي المتعفن فيها : فاستأصبت القيصرية العاتية ، وتحررت من النفوذ الاجنبى وفتحت أبواب العمل للمتعطلين ورفعت مستوى الحياة ؛ فان الشعب العربى لايجوز له مجازاة هذه الأيديولوجية ، لما فطر عليه من روحية : وهيل شديد إلى الحرية؛ والبعد عن العنف وأحداث الثورات في سبيل أهدافه الاجتماعية،

والنزوع الى التطاون بين طبقاته .

وهذا لا يمنعنا من التأثر بروح هذه الايديولوجية : بايجاد نظام اشتراكي معتدل للتخفيف من حدة الرأسمالية ، والتقليل من الفوارق البارزة في مستوى الطبقات المعيشي ، اشتراكية لا تنظر الى الناحية المادية فحسب ، بل الى المثالية الخلقية ، التي تتواءم من السيكولوجية للقومية العربية . كما تتواءم مع الديموقراطية الحقة .

فتقوم الاصلاحات بوساطة حكومات ديموقراطية رشيدة تقيم ثورة سلمية من اعلى كما يقولون . وكما حدث في انجلترا بما قامت من اصلاحات اجتماعية وسياسية . وتشريعات ضد الفقر . وماقررت من ضمانات اجتماعية للعمال . وما فرضت من ضرائب متصاعدة على اصحاب الدخول الكبيرة .

او كما فعلت البلاد الديموقراطية الصغيرة المتقدمة مثل السويد والدنمرك . فقد سارت حكومات السويد بتجربة طيبة لمراقبة الرأسمالية سميت « بالطريق الوسط » **Middle Way** وقوامها مراقبة النشاط الاقتصادي في البلاد وادارة الحكومة للمناجم والقوى الكهربائية والمواصلات . وغيرها من نواحي النشاط .

وكما فعلت حكومة لدنمرك الكثير للفلاح الصغير . وتشجيعها التعاونيات لصانع المستهلك والمنتج . حتى بلغ مستوى الافراد المعيشي ارفع مستوى .

فليس بالعنف . ولا بالثورة يقام الاصلاح والتقدم في البلاد العربية . انما يقام بالطريق الدستوري السليم . يقام بثورة الحكومة السلمية . وتغير عقليات الحكام . وفهم التيارات التقدمية السائدة . والتحول من الركود الى الحركة والنوثة . وفي هذا يقول س . م . موريس في كتابه « الديموقراطية الانجليزية » :

« ان الزمن قد تغير . وانجلترا الرأسمالية المحافظة . قد تغيرت كلية عن ذي قبل . وتقدمت ديموقراطيتها . وعدلت البورجوازية عقليتها . حتى تمكن العمال من الوصول الى مقاعد البرلمان . وقيادة زمام الحكم . وتقارب الغنى والفقر . بعد بروز واسع كان يفصل بينهما . وذلك بفضل الخدمات الاجتماعية

العظيمة التي قامت وتقوم بها الوزارات الانجليزية المتعاقبة .
ويقول الكاتب الامريكى ماكيفير . فى كتابه «الاسوار التي نحميها»
.. « ان الشعب اذا اراد زحزحة النظام الرأسمالى عن
عرشه . ففى مكنته ان يفعل ذلك بالطريق الديموقراطى . ولا حاجة
به الى الثورة بل عليه التصويت ضده » .

فتجاوب الحكومات مع حاجات الشعب وامانيه . هو السبيل
القويم الى الاصلاح والتقدم .

فاذا وقفت الحكومات دون حاجات الشعب اهتزت مقاعدها ..
وذهب النظام الذى تحميه . وتحولت الى النظام الديكتاتورى .
وهذا ما حدث عندما آل النظام الديموقراطى السياسى فى بلاد
اوروبا الشرقية . الى الركود والصلابة والخيبة . ففسد تحولت
المجر وهى بلاد الفلاحين الى النظام الديكتاتورى . عندما تفاقمت
احوال الطبقة الزراعية والعاملية فيهما . ووصلت درجة بالغة من
التدهور والفقر .

وعندما فشلت الديموقراطية فى بولنده . تحولت فى عام ١٩٢٦
الى النظام الديكتاتورى . وكذا تحولت يوغوسلافيا الزراعية الى
هذا النظام عندما استعصى على الحكم الديموقراطيين حصل
مشكلاتها الزراعية . وكثرت الصراعات السلافية .. بين الكروات
والسلاف والصرب . مما دعا الملك فى عام ١٩٢٩ الى اعلان
الديكتاتورية .

واذا تتبعنا الاسباب التى آلت ببلاد اوروبا الشرقية الاخرى
كرومانيا وبلغاريا الى الديكتاتورية . وجدنا أن اسباب تحولها الى
الديكتاتورية يرجع الى كبح جماح الفلاحين والطبقات الصغيرة
فيها وعدم تجاوب حكوماتها الديموقراطية مع ارادة شعوبها .
وفهم مطالبهم والعمل على رفع مستواهم الاقتصادى .

ولهذا نعتقد أن الاخذ بالنظام التقدمى الذى يجمع بين النظام
الديموقراطى الحر والنظام الاشتراكى المعتدل . أى الاخذ
بالايدىولوجية . التى توفق بين حرية الفرد وكرامته وانسانيته .
وقيد هذه الحرية من اجل تقدمه المادى .. هو السبيل الامثل
للتقدم العربى المنشود . وسنبسط الحديث فى هذه الناحية لاحقا

الأيديولوجية الجديدة

وهذا التضارب الفكرى الذى اوجزنا الحديث عنه ان دل على شىء فانما يدل على التخبط والحيرة . وضيق الافق . ولا مناص لنا للخروج من هذا التخبط الا باعتناق فكرة أصيلة متميزة . تكون نبراسا لنا فى النهوض الحقيقى .

فكرية تستمد جذورها من اصالح ما فى الماضى من تقاليد . واجمل ما فى الحاضر من مواضع . وامثل ما نصبو اليه فى القابل من تقدم وارتقاء .

فكرية مستقلة لا تقلد فكرية بعينها من الفكرىات السالفة . فكرية تنبع من الروحىة الشرقىة المهدبة . ومن تجارب الحاضر . ومن الروح التقدمى السائد فى البلاد المتحضرة . أى تجمع الى القيم الروحىة العالىة . القيم الديموقراطىة . والقيم المؤهلة للتقدم الاقتصادى . بما تنطوى عليه من فتوحات ومبتكرات صناعىة .

وتترابط هذه القيم . وتتوحد فى وحدة متينة متوازنة لا تطفى قيم منها على قيم أخرى . بل تسير متساندة متعاونة بفضل التفاهم السمع . والعقل المفتوح .

وفى ظلال هذه الفكرىة تتقوى الفكرة القومىة . وتضمحل النعرة الطائفىة . وتنتعش الحرنة الفكرىة المنجبة للاصالة والابداع . ويرقى المستوى المعيشى للافراد والجماعات .

ولن تقوم وحدة قومىة فى ظل اىديولوجىة ثبوقراطىة لاختلاف الاديان فى كل امة عربىة . ولن ينتشر رخاء ولا طمأنينة فى ظل ديموقراطىة سياسىة ضيقة الافق . ولن تهدأ نفوس . ولا يسود امن وطمأنينة فى ظل نظام ديكتاتورى استبدادى . يؤمن بالقوة . وينكر مبادئ الحرىة . ويعتق مبدا الوهة الدولة وحكم البيروقراطىة الحكومىة .

ولقد رأينا في تاريخنا القريب قبل حدوث ثورة يوليو ١٩٥٢ كيف كنت حالة مصر . وهي في شد وجذب بين فكريات متناقضة متصارعة . فكرية ثبوقراطية غلمضة لاتعرف لها أهدافا محددة . وفكرية ديموقراطية سياسية بتراء لا تعرف الاصلاح الاجتماعى ولا العمل الايجابى لتحسين حال الطوائف الصغيرة . وفكرية اشتراكية فشية منحرفة . كانت تثير العداء بين الطبقات وتعلن الحرب على الاحرار من المواطنين . وتعمل على تجريح اشخاصهم وتشويه سمعتهم بأحق وبالباطل . وفكرية اشتراكية متطرفة . تسبق الزمن . وتحاول أن تضع البذرة في الصخرة العاتية . فكرية مستوردة من بلاد لاتتشاكل معنا في تاريخ ولا تقاليد . ولا مزاج . ولا واقع سياسى او اجتماعى او اقتصادى . ويمكن انقول . فى اطمئنان . بأن الطريق اصبحت معبدة فى بلاد كمصر للفكرية الجديدة . بعد ان انطقت جمرات الفكريات المتضاربة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ . بعد بزوغ الوعى الجديد فى عدد من شعوب البلاد العربية . مثل سوريا ولبنان . والعراق والاردن .

واضحى فى عنق النخبة العاملة فى البلاد العربية ثقائب الراى فى امثل انبىاء التقدمية التى يقوم عليها بناء الكيان الاجتماعى والاقتصادى فى كل بلد عربى . كما اضحى من اواجب ان نترك رواسب افكريات السابقة . وان لا نقف فى صلابة ذهنية متارين بآية فكرية سائفة . بل يجب التفاهم والاتفاق على هذه المبادئ الجديدة . وفى جوها يمكن التقريب بين الفكريات المختلفة . اذا صفت النيات . وتفتحت القلوب والعقول لوفاق . من اجل الاهداف السامية التى نطمح اليها .

ولن ينكر علينا احد الاتفاق على مبادئ هذه الفكرة الجديدة وترسيم اطارها ووضع منهاج لها . ويرى الكتاب المتقدمون أنه لا غضاضة على أى امة أن تشكل فكريتها حسب مزاجها وطبيعتها وواقعها الحاضر . وقابلها المرجو . دون مسايير فكرية بعينها . يقول الدائب الروسى ا. م. ليعين فى كتابه « الاستعمار اليوم » (١)

(١) « الاستعمار اليوم » ا. م. ليعين

« ان الشعوب التي تخلصت من النير - الاستعماري - و التي تحارب لتحقيق حريتها . يمكن ان تكون لها طرق مختلفة في الحياة والعقائد والفكر . ويمكن ان تتصور بطرق مختلفة المجري الذي سيأخذه التقدم انساني في المستقبل »

وهذا القول ومثله . نشير . تحت بصر الجبل العربي الصاعد ليدرك أن من الخطل التعصب تعصبا أعمى لفكرية مستوردة . وان من الواجب ألحتمى التفكير في فكرية ملائمة للبلاد العربية . فكرية تنطوي على أحداث تغير ما في التراث الاجتماعي من فساد وانحراف . وحل ما يواجه واقعنا السياسي والاجتماعي والاقتصادي من عقبات ومشكلات . لإقامة كيان اجتماعي قوى وطيء .

ديناميكية الايديولوجية الجديدة

وهذه الايديولوجية التي رسمنا خطوطا عامة لها . يلزم ان تؤمن لا بحتمية التغير . بل بديناميكية التغير . فالتغير حتمي لا مفر منه في الآراء . والمنظمات الاجتماعية والاداب والعلوم والفنون ويحدث هذا التغير في بطء واناة . كما يحدث في سرعة وانطلاق . يحدث بفعل الزمن . كما يحدث بفعل الانسان . وفعل البيئة . والتقدم البطيء هو الذي يعتمد كية على الزمن . اما التقدم السريع الواجب . فيعتمد على فعل الانسان العامل الناهض . وعلى وعيه اتوسع . وتأثره بالثقافات المتحضرة التي حوّه . وعلى البيئة المتجاوبة وهو اشته بالبذرة التي توضع في الارض السوداء . تتحول نبتا او زهرة . بما فيها من خصائص . وبما يحيط بها من طبيعة منجبة . ومن تفتح الانسان الذي يعرف كيف يرعاها . وينميها ويزكيها .

فهناك عوامل معاونة على التغيير . منها العامل الوراثي . والعامل المكاني والعامل الروحي والثقافي . والعامل الانساني . وهذان الاخيران هما اهم عاملين في ديناميكية التغير بصفة عامة . وهذه العوامل تتحد معا في احداث التغير . ولن يقوم عامل بعملية التقدم الديناميكية . دون اشتراك العوامل الاخرى . فالعامل الوراثي والمكاني يعاونان على التغيير في خفاء وكمون . ذلك لان الامزجة والعقليات واسلوك والشخصية تعتمد كما يقول ج . و . البورت في احوال عديدة على المورثة Geres فالسمات الجسمية والنظام الغددي تورث عن الآباء . كما تورث عنهم السمات العقلية والفنية . وتورث السمات القلبية في الغالب عن الامهات . وهذه حقائق علمية لم ينكرها حتى السوكون الذين يعزون الى ابيثة كل تأثير في الشخص . اذ انهم سلموا بتأثير الوراثة في التكوين الجسمي .

فالوراثات لها آثارها في الافراد والجماعات . وفي ظهور الموهوبين والعباقرة الذين يقومون بدور مهم في التغير والتقدم البشري وكذلك يجب العامل المكاني دوره الخفي في الافراد والجماعات قالعائشون على سواحل البحر يختلفون . ويتغايرون نوعا ما في التكوين الجسمي والفكري . بل المزاجي والخلق من يعيشون

في المناطق الجبلية أو السهلية . والعاشون في الصحراء يختلفون في مزاجهم وعقائهم عن العاشين في المناطق النهرية . والعاشون في المناطق المعتدلة يختلفون في المزاج عن سكان المنطق الاستوائية ويذكر كرتشمير في كتابه « سيكولوجية العباقة » ان مولداغلب العباقة كن في المناطق الاوروبية المتوسطة وهي مناطق الخصب . والتي شعت منها انوار الثقافة الاوروبية منذ العصور الوسطى الى اليوم . كما ظهرت في مناطق الانب اى في جنوب ووسط المانيا وفرنسا وايطاليا . العباقيات الفنية الخلاقة من امثال باخ وهامدل وشوبان وواجنر وموزار وشوبير . على حين ان المناطق الشمالية البعيدة كالسويد واسكتلندا والمانيا الساحلية تفتقر الى مثل هذه العباقيات .

ولا استطاع التسايم بمثل هذا الراى . لان العاملين السابقين لابد ان يرتبطا بالعامل الثقافى . الذى يخمر عجيئة انتطور وانتقدم . ونقصد باعامل الثقافى معناه انواسع . اى ثقافة المادية والمعنوية والادبية جميعا وما يتصل بها من فكريات ومن نماذج الثقافة المادية ، الآلات الصناعية والآلات الزراعية والمخترعات الحديثة . وينطوى تحت الثقافة المعنوية جميع انواع المعرفة بما فيها فنون الادب والفن والخبرة الفنية (التكنولوجيا) . كما تتقوى الثقافة بالاستعارة من البلاد الاخرى . التى توجد بها هذه النماذج . وليس شك ان القوة المحركة للتطور هى قوى الانسان : الذى يمكنه السيطرة على قوات الطبيعة : ويصل الى ثقافة مادية ومعنوية واسعة . والانسان بتفاعله مع ما يحيط به من اشياء . ومع ارتباطه بالجماعات . وفهمه لها فهما صحيحا . يمكنه احداث اتغير . اذا بذل مايسطيع من نشاط خلاق منظم والاتساشان الذى يتطور هو انيتلن . فريد : انسان له ايمان بالتقدم . انسان متحمس ابلغ حماسة . انسان ذو وعى نقاد يمكنه عرض واقع المجتمع . واقناع الكثرة بالتغير ، او قد يلوذ بدافع ايمانه التقدمى الى العنف والصراع . وطريق الاقناع السلمى هو طريق حضارى . كما يرى الفياسوف الامريكى ف . ه . جدينجز وقد يكون هذا الطريق بطيئا في اثمار بذور التطور والتقدم . ولكنه طريق يودى الى نتيجة مؤكدة . اما طريق العنف والثورة . فلا يودى الى كيان سلمي سعيد . هذا اذا لم يكن العنف هو الطريق الاوحد للخروج من أزمة مستعصية . او فوضى ضاربة .

شواهد حضارية

فاذا القينا نظرة بعيدة الى الحضارات القديمة ، كالحضارة الفرعونية ؛ أو الحضارة اليونانية أو الإسلامية . وجدنا العوامل السابقة عمات عنها في احداث التغير والتقدم . فنظرة سريعة الى الحضارة الفرعونية التي قبلت منذ تأسيس الاسرة الاولى ، ترينا ان العامل الجغرافى كان له اثر كبير في تغيير هذه الارض الصحراوية . ولولاه لما كان لمصر وجود حضارى . كما يلاحظ علماء الآثار ان مصر في العهد القديم قد تأثرت بالامم المجاورة . . فيقول جون ولسون في كتابه « الحضارة المصرية (١) :

« أنه لايمكننا ان نرفض الرأى القائل باحتمال عنصر جديد في اواخر عصر ما قبل الاسرات ، وهذا العنصر الجديد كان من عوامل الدفع ، وقد استمد أصله من أعراق . ودان له اثر واضح في تقدم الحضارة المصرية . »

وهذا القول على اطلاقه ، لا يقره كتاب آخرون . اذ نجد ان الكاتبين ادواف ارمان ؛ وه. إيمان رانكه في كتابهما عن « مصر والحياة المصرية في العصور القديمة » يريان أن اتصالات مصر بالشعوب المجاورة لم تستطع ان تحدث في الحضارة المصرية الا اثرا ضئيلا جدا تناول ظواهر الاشياء (٢) .

واختلاف الكتاب في استعارة مصر القديمة للثقافات المجاورة هو اختلاف في النء والدرجة ، ولكن الكتاب يجمعون بعامة على وجود عنصر الاستعارة .

والذى لاشك فيه ان المصرى الاول بتفاعله مع البيئة التى خلق

(١) كتاب الحضارة المصرية تأليف جون ولسون . وترجمة الدكتور احمد فخرى .

(٢) كتاب مصر واحياة المصرية فى العصور القديمة : تأليف ادواف ارمان وهرمان رانكه ترجمة الدكتور عبد المنعم ابو بكر .

فيها . ومع مامتاز به من ذكاء واطمئنان وتفاؤل في ذلك الحين .
أمكنه أحداث التغيير العجيب الذي يشهده التاريخ في المعمار .
والتصوير والنحت . وعلم الفلك . والهندسة . والطب . والإدارة
الحكومية المنظمة تنظيماً حسناً . .

كان الحافز الروحي الداخلي دافعاً له نحو نوع جديد من الحياة
فكانت لديه رغبة ملحة في التغيير والتعطش إلى المغامرة (١) .

وهو مع اقباله على التجديدات . فانه كان يميل إلى الارتباط
بالقديم ، فالجديد والقديم يترابطان .

وفكرته العجيبة في تقديس الآلهة ، واعتبار الملك إلهاً : وتخليد
الاجساد بعد موتها . لم يمنعه من الاستمتاع بمباهج الحياة
والكشف عن أسرارها . واستعمال العقل المجرد في تفكيره .
والفكر العملي في صناعاته والمرونة العقلية والاجتماعية في مبتكراته
وفي ترقى أبنائه في المراكز الاجتماعية .

ولقد أوجد المصريون الكتابة . واخترعوا الحبر وأوجدوا
التقويم الشمسي ، وقاسوا الزمن بالزولة « لساعة شمسية »
بالنهار والساعة المائية بالليل . وأول من بنوا بالحجر . وقد كانوا
أعظم بنائين في التاريخ ، وزخرفوا المباني بأزهار الوتس والبردى
والبشنين ورسموا قرص الشمس ذا الأجنحة وأقاموا المسلات (٢)

والى هذا الإبداع العقلي : فقد كانت لهم إدارة حكومية منظمة
ومرونة اجتماعية كبيرة ، فكان الرجال من الطبقات الدنيا يصلون
إلى المراكز الكبيرة . وكثير من الرجال العظام كانوا من هذه
الطبقات .

ومما تقدم يتضح أن العامل الجغرافي البديع وهب مصر نيلها
الخالداً ، والذي أشعر الشعب المصري بالأمن والطمأنينة لبعدها عن
عنه . وما امتاز به من ذكاء ومرونة ، وتأمل وتفكير : مكن الشعب
مصر القديمة أن يشب وثباً إلى حضارته الباهرة .

(١) الحضارة المصرية - لجون ولسون . ترجمة الدكتور أحمد

فخرى ص ٧٩ .

(٢) لمحات من الدراسات المصرية القديمة للدكتور باهور لبيب

الحضارة اليونانية

ونمكن اليوناني القديم من تغيير حالته لبدائية : والسير حثيثاً نحو التقدم والتحضر ؛ بفضل موقع بلاد اليونان القديمة تلك البلاد التي 'خترقتها سلسلة من اجبال ، واحاطتها المياه فقسمتها وحدات سياسية . وفتحت لها المياه الطريق الى التجارة ومهدت لها المواد الموجودة مثل المرمر والجرانيت . صنع الطوب والفخار واعانتها على تقدم فن النحت والمعمار .

وافاد اليوناني 'لقديم بما واتاه من اثقافات المحيطة به : اشغافه المصرية القديمة ؛ والفينيقية والفارسية . وبلاد ما بين النهرين فتأثر بالثقافة المصرية تأثراً كبيراً وشاهد ذلك بارز في المعمار اليوناني كما استعار من الفينيقين الحروف الابجدية وانشأ له حروفاً جديدة .

ولم يكن 'ليوناني القديم كالمصري القديم متصلاً اتصالاً كاملاً بالآلهة بل كان اتصاله بها اتصالاً رقيقاً ولهذا لم يملكه الوهم ولا الوجع من اعماله الخارقة المؤثرة فيه ، ولم يكن ليخضع سلطة الملوك والحكام ؛ كما كان حال المصري القديم اذ كانت سلطة الملوك مقيدة حيناً وزائلة حيناً آخر .

ولهذا رأينا اليوناني القديم يستمتع بحرية لم تكن لاقراءه ويمس الى الاعتماد على نفسه ، والتفكير تفكيراً مستقلاً ، مستنداً الى التعليل والتحليل . وبلغت قدرته في ذلك درجة عالية وكانت هذه الميزة هي من اكبر العوامل في تغيره وتقدمه هذا 'لتقدم الباهر وفي ذلك يقول الفيلسوف الانجيزي جود :

« ان عقول اليونانيين قد تحررت من كل قيد ففكرو حسبما يريدون وقالوا مايشاءون ، ولم يكونوا يخافوا آلهتهم . ولا أبناء وطنهم » .

ونلمس هذا التقدم في علومهم وفلسفتهم وسياستهم وخطبهم
وأدبهم .

وقد دفع هذا أنتقدم خطوات وجود لفيف من الموهوبين ذوي
القدرات العقلية والفنية العالية ، من العلماء والفلاسفة والأدباء
والشعراء . أمثال الرياضي فيثاغورث . وأبي الطب هيبوكريت
ومن الفلاسفة أمثال سقراط . وأفلاطون وأرسطو . ومن الشعراء
أمثال هوميرو ، والشاعرة سافو . وبندار . ومن المؤرخين أمثال
هيرودت وليوسيدس ومن السياسة أمثال بركليز ؛ وغيرهم من
ذوي الجراحة الفكرية . وانتحرر العقلي .

ونكتفى في هذا المجال الثقافي . بذكر مثالهم الديموقراطي في
أثينا الذي لم يعرفه العالم القديم . والذي أصبح نموذجا يحتذى
أعالم الغربي الحديث مع تعديلات وإضافات . وذكر فلسفتهم
وأدبهم الناضج المتحضر الذي أمتاز بالإصانة والابتكار والذي عاون
على خلقه كما يقول موسى هاداس في كتابه « تاريخ الأدب الإغريقي »
لغة موسيقية سيالة غنية مرنة وأمكنهم من التعبير تعبيرا جميلا
موجزا واضحا .

ويتضح مما تقدم أن اليونان القديمة وبخاصة في القرن الخامس
قبل الميلاد . قد تغيرت عن ذي قبل . بفضل موقعها الجغرافي
وثقافتها المستعارة . وما أمتاز به رجالها من حرية فكرية ومرونة
عقنية وروح تقدمية تثير الى اليوم دهشة المعاصرين .

الحضارة الإسلامية

فإذا اجتزنا سبعة قرون وحومنا حول الجزيرة العربية قبل دخول الدين الاسلامي اليها . وجدنا جماعات في الجزيرة متناثرة تسودها العصبية اقبلية ، وتتحكم فيها روابط ادم وتتشرب بينها عبادة الاصنام ، وفي مكة اتى سماها القرآن ام القرى . كن القرشيون جماعة من الارستقراط . والتجار الاغنياء والصيارفة ورجال الاعمال الذين تربطهم روابط قبلية وثيقة . والى جانبهم جماعة من الفقراء الاذلاء . . جماعة مترفة تعيش في بذخ ، وتسرف في شرب اخمر ، ولعب الميسر ، وتتزود من الاسطورة . وجماعة من الحنفاء من عشيرة ابراهيم محتفظة بانفطرة العربية السليمة ، غير راضية عن عبادة الاوثان .

فجاء الدين الاسلامي بايمان ديناميكي جديد ، وحدث التغير في هذه الجماعات ، بل اقام فيها ثورة في مدى ثلاث وعشرين سنة . فكيف حدث هذا التغير بهذه السرعة . ولاول مرة في حياة البشرية .

حدث هذا التغير بقوة تعاليم هذا الدين الجديد ، هذه التعاليم الانسانية الحية اتى نادت بوجود قوة عاليا تحكم العالم ، بدل هذه الاوثان اتى لاحول لها ولا طول . وبشرت بالاستمتاع البريء بما في الحياة الدنيا ، وبحياة اخرى يثاب فيها الاتقياء ويجازى الطالحاء . واثت بفلسفة جامعة بين الروحية المثالية ، والواقعية العممية ؛ وبعثت قيما اخلاقية واجتماعية ؛ المساواة بين اناس ؛ لافرق بين غنى وفقير ، ولا ميزة لابناء قبيلة على قبيلة ؛ ولا سيادة لحاكم على محكوم ؛ بل الكل الهام تعاليم هذا الدين سواء ، والكل اخوة في دين الله .

وكانت وسائط هذا الدين في التغير ، كلمات القرآن الباهرة ؛ التي خلبت الباب العرب وعواطفهم ، وقد كانوا اهل فصاحة وشعر ؛ وبهر على بن ابي طالب باعجاز الايات ، واعتنق عمر بن الخطاب الدين وقد خبت ليه سورة طه ، وسحر عتبة بن ربيعة

بسورة السجدة . وسحر غيرهم من العرب بقوة هذه الكلمات .
وشعريتها ؛ ونفاذها الى الافئدة .

كما كان لشخصية الرسول تأثير فعال يجابى في هذا التغيير .
فقد كانت شخصية مغناطيسية جاذبة . وتأثر انقادون بما لهذا
الرسول من احادث زينة حكيمة ؛ تأثروا بما اتسم به من بساطة
وسماحة وشفقة متناهية ، لم يعهدوها من قبل في رجال الروم
أو الفرس ، وقد جاء في النقل ما يؤيد قوة مغناطيسية الرسول ؛
فتقول هند بنت قتالة عن طلعة :
« كان فخما مفخما يتلأأ وجهه تلاؤ القمر » (١)

ويقول بعض من بايعوه :

« ما رأينا مثل هذا لرجل - احسن وجهًا - ولا انقى نوبًا ولا
أبين كلامًا ؛ ورأينا كائنور يخرج من فمه » (٢)
ويقول على بن أبي طالب رضوان الله عليه :
« من رآه بديهة هابه : ومن خالطه معرفة أحبه » . . . ويقولون
غيره : « لم أر قبله ولا بعده مثله » .

والم تتأثر بقوة الكلمة ولا شخصية الرسول في بديهة العهد
الا كوكبة من الذين فتح الله قلوبهم وعقولهم ، وجماعة من الفقراء
الذين وجدوا في تعاليمه خروجًا من حالتهم السيئة . وجماعة
من الحنفاء الذين لم يقبلوا الدخول في اليهودية ولا المسيحية ووجدوا
في التوحيد ضالتهم . اما اغلبية القرشيين في مكة ، فقد وجدوا
في هذه الايديولوجية الدينية الجديدة تحديا لمعتقداتهم .
وتحضيضًا لنفوذهم ؛ وتوهينًا لتجارتهم ؛ فحاربوا داعيتها حرب
شعواء ؛ وآذوه اذى شديدًا .

ولم يجد الا الهجرة الى المدينة . حيث وجد هناك قبيلة
المعوتة ، ووجدوا فيه الرجل الحصيف الحكيم الذي يستطيع
فض منازعاتهم ، بما يحمل من روح قوية غير عادية وتأييد الهى كريم .
ولم يجد الرسول مناصا لنشر دعوته الا انضال هؤلاء المتعجرفين .

(١) « الشمايل الحمديّة لحافظ الترمذى »

(٢) الانوار الحمديّة في المواهب اللدنيّة : يومئذ النبّهاني

في مكة ، وجهاد الدين عكفوا على عبادة الوثن . فكان لنضال هبة ذريعة أخرى لتغيير ؛ وذريعة لامفر منها ، ووجد أنصاره في هذه الفرقة ، بعثا لما فطروا عليه من طموح ، وتجوأل في الاقطار ؛ وايقاظا لما اتصفوا به من حماسة وشجاعة . وبدأ الرسول غزواته المعروفة . غزوة بدر ، وغزوة أحد ؛ وغزوته السامية البيضاء على مكة حيث دخلها منصورا وتمكن من هدم أصنامها « ونشر رسالته » وجمع الأمة العربية حول مبادئه الجديدة لأول مرة في تاريخها .

كانت القوة الروحية والمعنوية في الديانة الاسلامية اكبر عامل من عوامل التغير ، في العصر الاسلامي الاول ، ثم كانت القوى العقلية بعد ذلك من اكبر العوامل في ذبوع الحضارة العربية في القرون الوسطى .

فعندما توسعت لقومية العربية ، فتسلط بلاد ما بين النهرين . ومصر وغيرها من البلاد . تأثرت الدعوة الاسلامية ببذرة العقليه التي بذرها القرآن في آياته ، وبالثقافات القديمة والمعاصرة اليونانية والفارسية والبرنطية والهندية والصينية ، تأثرت القومية العربية بفكر اليونان وعالومهم وفلسفتهم وآدابهم وفنونهم . وكان تأثيرها باليونان كبيرا . كما تأثرت بفن الفرس وآدابهم . وبنظام الرومان الإداري ؛ وفنهم .

وهضمت القومية العربية هذه الثقافات جميعا . وخرجت بثقافة مستقلة فيها كثير من الاصالة في بعض فروع المعرفة . وصارت اللغة العربية بغناها أداة من أدوات اشقافة ؛ فقد طمرت اللغات التي كانت موجودة مثل القبطية ، واليونانية . والارامية ؛ واللاتينية ؛ وأينعت في البلاد العربية من الفرس الى اسبانيا .

وبفضل العقلية العلمية الجديدة ، التي استحوذت على الباب العرب ؛ وبفضل وجدانهم الذي هذبته التعاليم الدينية ، وبفضل الأذهان المفكرة المتحررة التي هضمت الثقافات الاخرى ، وفجرت طاقاتها الكامنة ، وبفضل الثقافات المادية الاخرى ؛ وجد تقدم حضارى في القرون الوسطى كان ولا يزال مثار عجب واعجاب العالم ويعجب المدارس لهذه الحضارة مما أحرزه العرب من تقدم في الرياضيات ؛ والطبيعة ، والكيمياء ؛ والطب ؛ ومن فتوحاتهم في

فن المعمار ؛ والتصوير ؛ ومن امجادهم فى انقاسفة والادب والشعر ، ويجد كوكبة نابغة فى جميع العاوم ؛ فيدهشن نهذه الطاقات المتفجرة فى عصر من عصور الظلام ؛ طاقات اشعت النور لاوروبا الفارقة فى الجهالة .

واذا ذكرنا بعض الاسماء العربية الالامعة ، فلا نذكرها للتفاخر بها ، بل لكى نفتح اعيون على حقيقة كبيرة : هى ان التغير الذى حدث فى هذه القرون يرجع الى التحرر افكرى وائى روح لتسامح الدينى فى هذه الفترة حتى لنجد بعض فقهاء الدين يعتمدون على العقل فى حكمهم ، ولا يعتمدون على الروايات الدينية (١) ، وبعض فلاسفتهم يصدرن آراءهم فى المسائل الدينية فى حرية تامة : ويفسرون اقرآن على ضوء العقل (٢) كابن رشد .

يلمع الخوارزمى فى فارس علما فى الرياضاة ، ويجمع البنائى فى العراق يحويه المبتكرة فى الجبر والمثلثات (٣) ويجمع ابو سعيد ابن يونس ببحوته فى المثلثات اتى قانت ببحوث كبيرين من العلماء (٤) وشجاع بن اسام فى علم الجبر .

ويلم ع ابن الهيثم بالعراق فى الطبيعة وفى البصريات (٥) كما يجمع انخازن فى بوجه درجة مدهشة فى تهذيب البصريات ، وابو سعيد ابن يونس المصرى فى الفك .

ويجمع فى الطب الرازى وابن سينا من بعده فى فارس ، وتنفرده مصر فى هذه الناحية ، فيبرز ابن رضوان ؛ وعلى بن النفيس الذى اهتدى كما يقول ماكس مايرهرف الى حقيقة الدورة الدموية انصغرى ؛ دورة الدم ؛ من البطين الايمن فى القلب الى الرئتين ثم الى البطين الايسر (٦) .

(١) عبقرية العرب للدكتور عمر فروخ ص ٤٢ الطبعة الاولى ١٩٤٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) تراث العرب اعلمى للاستاذ قلدى طوقان ص ١٢٢

(٤) المرجع السابق ص ١٤٤ .

(٥) المرجع السابق ص ١٥٤ - ١٥٦ .

(٦) تراث مصر - للاستاذ عبد الرحمن زكى ص ٥٦ .

ويجمع بعض هؤلاء الافذاذ الى العلم ، الفلسفة والادب كما فعل ابن سينا ؛ والكندى انكوفى ، الذى جمع الى الفلسفة البراعة فى العلوم الرياضية والفلكية وهو من اصل عربى عريق . وقد عدّه العالم الايطالى كاردانو من اذكىاء اعبارة المعدودين (١) . والى هؤلاء نذكر ثابت بن قرة العراقى الذى جمع الى الفلسفة البراعة فى الهندسة التحليلية ، وافكك والاشتغال بالطب ومداوة المرضى (٢) .

ونسنا بحاجة الى ذكر من لمع فى البلاد العربية فى الفلسفة من امثال الفراءى وابن رشد ، وموسى بن ميمون ولا فى الشعر والادب من امثال : بشار والمتنبى وجاحظ والمعري . وكل ما يهمنى هو الالحاق على حقيقة مؤكدة هى ان هذا الدين الجديد ، لم يكن من حوافز التهذيب الوجدانى فقط ، بل كان من حوافز الاثارة الى التفكير فى نواحي المعرفة فاذا تناولت حياة الكندى العربى الصميم تجد انه حصل على حظ كبير من الثقافة اليونانية والفرسية والهندية ، وقادته دراساته الاسلامية انسيسة الى حب المعرفة واستقلال البحث ، ولهذا رايناها يتمسك بتلقيدة الدينية وينافح عنها بانظرة عقلية (٣) .

واذا تأملنا حياة ابن يونس المصرى ، راينا ان الدين كان من اسباب تأملاته فى غم الفك الذى بلغ فيه حد العبقرية (٤) . وعلى هذا يمكن القول بان العنصر الدينى كان من حوافز العرب الاولين الى التفكير والبحث العلمى ، وأنه بفضل هذا العنصر ببت حضارة جديدة وتميزت عن الحضارات القديمة كافرعونية او يونانية او رومانية ، بما اشعل هذا العنصر فى قلوبهم من وجدان مهذب ، وميل الى التفكير والابتكار ، والتجريب ، وكان هذا عنصرا ديناميكيا فى التغيير والتقدم بلا مرأى .

(١) تراث العرب العلمى - لطوقان ص ٩٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٢ - ١٠٥ .

(٣) كتاب الكندى وفلسفته للاستاذ محمد عبد الهادى ابو ريبة

ص ١٠ ؛ ١٦ . ١٩٥٠

(٤) تراث العرب العلمى - طوقان ص ١٤٤ .

المدنية الغربية الحديثة

لشواهد التاريخية التي اطلنا انوقفه عندها تكشف لنا ان التعامل الاصيل الباقي في التغير والتقدم هو الميل الى التفكير المستقل ، والروح العلمى الذى شهدنا آثاره الباقية في مصر القديمة ، ولمسنا بروزه في الاغريق ؛ ووقعنا عليه في الحضارة الإسلامية .

ومهما يقال عن البذور العلمية في الحضارة لقديمة . فانها كانت بذورا قليلة ؛ وكان التغير الذى أحدثته بمقصورا على القلة المترفة في هذه العوالم .

ولم يتجل الروح العلمى واثره العظيم في التغير الا في العصور الحديثة . فقد كان مجاله واسعا ، ونطاقه متعدد الميادين . وأبرز ما نجد ذلك في أوروبا في النصف الثانى من القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ، حيث اكتشفت قوى المادة ووجدت مواد جديدة ؛ وعرفت علوم الحياة ، ووجد من يطبق هذه العلوم . في صناعات جديدة لا عهد للبشرية بها . فقد كشف العالم وات في عام ١٨٦٩ قوة البخار ، واستخدمت في تسير القاطرة ، والمركب البخارى وغيرها من الآلات ؛ فتغير وجه الارض ، ووجد الأمريكى بنجامين فرانكلين بعض الحقائق عن الكهرباء ؛ كما عرف الإيطاليان جلفانى وفولتا توييد الكهرباء من بطارية وعمل فاراداي الدينامو ، وما جاء القرن التاسع عشر حتى استخدم اديسون الكهرباء في الاضاءة ، وأخرج المصباح الكهربى وهو من المعجزات الحديثة .

وأحدث داروين في عام ١٨٥٩ ثورة علمية بنتائج بعنه في التطور كما أحدث مائدل ومن أعقبه ثورة علمية أخرى بتوصله الى قوانين الوراثة .

ولم تقف البحوث العلمية عند ناحية .. بل شملت النواحي الانسانية فتقدم علم الحيوان ؛ وعلم الطب ، وفي القرن الثامن عشر ؛ عرف مصل علاج الجدري ، واتى باستير بعد ذلك فكشف

هؤلاء وجدت جماعة العمال الذين لا يملكون شيئاً الا جهدهم وعرق جبينهم وقد سموا « اليوالتاريا » .

ومن أبرز آثار هذه الثورة ؛ نمو الروح الاستعمارية واستغلال موارد البلاد الطبيعية لصناعاتها ، واستخدامها الاسواق لتصريف منتجاتها ، وقد أسمرت هذه الروح منافسات حادة بين الدول وأدت الى منازعات ومصارعات وحروب طاحنة ؛ وأهمها الحرب الكبرى الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ثم الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ وما أعقبهما من ويلات ونكبات فادحة .

فلسفة الرأسمالية :

وكان لتطبيق المتوسطة مذهب تدين به ، هو مذهب حرية التامل والتحرر من سلطة اقوانين المقيدة لاعمالهم ، وكن بهذا المذهب فلاسفة ينادون بحرية التجارة ، ورفع القيود على الصناعة ؛ ومن بينهم آدم سميث ؛ وريكاردو وبنثام وميل . وغيرهم ؛ وكنت لهم نظرياتهم الاقتصادية التي ان اختفت بعض الاختلاف في التفاصيل إلا أنها كانت كلها تنتهى بالناداة بالتححرر الاقتصادى . فكان ريكاردو مثلاً يرى تقدير اجور العمال على مقتضى العرض والطب ، فإذا كان المعروض قليلاً ومطوباً ؛ زاد اجر العامل . وإذا كان كثيراً ؛ فالاجر ينخفض . وجم عن هذا اتحرر الاقتصادى انزادت ارباح اصحاب الاعمال ؛ وصار العمال في حالة محزنة ؛ لا يستطيعون الحصول على حاجياتهم الضرورية وكان من اثر هذا وجود طبقة عمالية في المدن فققة ساخطة . وعبرت هذه الطبقة عن شعورها بالظلم في قيام هذه الثورة الصناعية ، ومن هنا بدأت فكرة الخروج على مذهب التححرر الاقتصادى ؛ وعلى تقييد حرية اصحاب العمل ، وبدأ المفكرون يحاولون تغيير هذا الوضع ؛ وتعديل الكيان الاقتصادى والاجتماعى على السواء .

العقيدة الاشتراكية :

وبدأت بذور الاشتراكية في اواخر القرن الثامن عشر ؛ فكان لسان سيمون (١٧٦٠ - ١٨٢٥) آراء مثالية خيالية ؛ ومع هذا فقد اثر في بعض المفكرين مثل اوجست كونت الذى كان يرى ان المجتمع يجب ان يكون في المستقبل تعاونياً ، ومهما باستغلال

الطبيعة ؛ لا استغلال الإنسان . ووحيد مفكرون آخرون نادوا
بالاصلاح لجموعة من العمال من امثال روبرت وين (١٧٧١ -
١٨٥٨) الذي طبق هذه الفكرة في مصنعه ، فكان يعطى العمال
اجورا طيبة ؛ ويهيىء لهم مساكن صحية ؛ ومدارس لابنائهم .
ويعمل يقدر الطاقة على تحسين احوالهم .

واتخذت الاشتراكية المسيحية بذور دعوتها من عظة "لجبل
للسيد المسيح" ، وكان من روادها جون فردريك موريس ؛ الذى
نادى بتعليم الشعب .. والاهتمام بالجمعيات التعاونية
والاصلاحات العمالية .

ثم جاءت بعد ذلك الاشتراكية المتطرفة وزعيمها ماركس .
وقد تأثرت بمبادئ الاشتراكيين السالفين ؛ ولكنها اختلفت في
مبادئها المتطرفة ؛ واشوريته ؛ وارتأت ان جميع الساع ينتجها
العامل ، وان القيمة الحقيقية لاية ساعة تقدر بقدر كمية العمل
الذى بذل لانتاجها ؛ ولكن العامل لا يأخذ من انتاجه الا حصة .
ويأخذ صاحب العمل فائض القيمة أرباحا ، والنظام الذى ترمى
اليه هو ابعاد استغلال صاحب العمل للعامل ؛ واستيلاء العامل
على قيمة انتاجه ، وأن الأعمال الاستيلاء على وسائل الانتاج
بالطرق السلمية اذا أمكن وبطرق العنف عند الحاجة .

وقد اختلف الاشتراكيون فيما بينهم ؛ وان اتفقوا على التنديد
بالرأسمالية ، ففريق تمسك بالاشتراكية المتطرفة آتفة الذكر .
وفريق رأى أن آراء هذه الاشتراكية غير مقبولة ولا محتملة .
ورأى التعاون مع الحكومات ، بورجوازية او غير بورجوازية ؛ لايجاد
الاصلاحات ؛ وهذه هي الاشتراكية المعتدلة ؛ التى ترى - فيما
ترى - القيام باصلاحات عمالية كثيرة ؛ وتقليل ساعات العمل
الى ثمانى ساعات ؛ ورفع الضريبة على الدخل وعلى الموارث ؛
وغيرها من الاصلاحات ؛ وكان على رأس هؤلاء جماعة ألفابيان
ومن بينهم برناردشو ، وولز ؛ وسدنى وبتريس وب وغيرهم .

العلم الحديث :

ويبدو مما سبق ان الرأسمالية استخدمت العلم فى خدمة
مآربها المادية والاستعمارية ، وسخرته فى ايجاد آلات لخراب
والتدمير ؛ اذ وجدت فى هذه الآلات ايسر سبيل للحصول على
ارياح فاحشة ، غير آبهة بما يسفر عنه جشعها وأعمالها المدمرة .

من ويلات الشعوب ؛ وعلى هذا تبدد نور العلم الصافي في ركाम من ضباب الظلام ، وسحب الظلم . لقد تمكنت الرأسمالية من نشر سيطرتها الاستعمارية على افريقيا ، وآسيا واستغلت كثيرا من اقطارها استغلالا مقيتا ، واستخدمت في هذا فتوحات العلم ، بما مدته من سلك حديدية وتليفون وتلغراف ؛ وبما أنشأته من بواخر لنقل خيرات هذه البلاد ؛ وبما وصلت اليه من كشف طبية تغلبت بها على الامراض المعدية وحميات المناطق الحارة لتثبيت أقدامها فيها ، ولم ينل سكان هذه المستعمرات الا الذل والاضطهاد .

وبهذا شوهدت قوة العلم كأداة للتطور والتقدم الحضارى ، وضاع اثر هذه الثورة الصناعية ، في رقى المجموع بل أصبحت قوة هدامة لمعنويات العاملين في بلاد الآلات الكبيرة ، والبلاد المستعمرة على السواء . فاصبح وضع الانسان الحديث في النظام الرأسمالي وضعاً أليماً مشجياً ، أصبح آلة مطيعة وسادت نفسه القلق والضيق وعدم الاطمئنان .

ولم ترتق حالة العاملين في بلاد الاشتراكية المتطرفة ، بما بلغته من تقدم علمي . وصناعي . وما وصلت اليه من خبرة فنية فأكبر الظن أن حالة العمال المعنوية مشجية ، لعدم تمتع العمال بحرية العمل . وحرية الانتقال من عمل لعمل ، ولعدم استطاعتهم ابداء الراى فيما يجدون من سيئئات البيروقراطية الحكومية رغم استقرار حالتهم المادية نوعاً ، وعدم تعطيل العاملين فيهم . أجل لقد حدث تقدم حضارى هادى في العالم الحديث . ولكن لم يرق تقدم روحى معنوى انسانى الى جانبه . مما يجعلنا نعتقد أن التطور والتقدم . لايقوم على الفتوحات العلمية . والمستحدثات الصناعية . والخبرات الفنية . وحسب . ولكنه يقوم على التغير الروحى ، وعلى الروح الانسانية في الدرجة الاولى . فأساس التقدم الحضارى ليس العلم فقط . بل الفلسفة الانسانية . التى يمكن أن يقوم على نورها التعاون الايجابى بين امم العالم اجمع .

ولقد كان انهيار الحضارات القديمة . وسيكون انهيار المدنية الحديثة راجعاً الى افتقاد هذا العنصر الانسانى . لقد اتهلوت الحضارة الفرعونية لان الشعب كان مسخراً للملك الاله ، وانهلوت الحضارة اليونانية . لان الشعب كان عبداً لجماعة مترفة من

حكاه ، وانهارت الحضارة الرومانية لاستبداد القياصرة . وظلمهم
للشعب . وانهارت الحضارة الاسلامية لترف الحكام وارسقراطية
ذوى النفوذ . وجاء دور المدينة الغربية . وسيكون ماها مال
الحضارات السابقة ، وستتلوها المدينة الامريكية التى تدين بما
تدين به الحضارة الغربية من فلسفة البراجماتزم أو فلسفة
المنفعة ، ولا تعرف فى سبيل أغراضها وتحقيق غاياتها الا القوة
سلاحا لنشر معتقداتها ومآربها .

وليس بعيدا انهار هذه المدن الحديثة بنشوب حرب ثالثة
تستخدم فيها مخترعات العلم الهدامة من قنابل ذرية وهيدروجينية
وغارات سامة .

وارهاصت هذه الحرب بداية من الحرب الباردة القائمة بين
العلاق الامريكي والعلاق السوفيتى ، وما هو ناشب بينهما من
شك وعدم ثقة وخوف . وتربص . منذ انتهاء الحرب العالمية
الثانية الى اليوم .

اختلاف بعيد بين العلاقين فى الايديولوجية وخوف امريكا من
صراع الطبقات وخوف روسيا من الحصار الراسمالى . وخوفهما
من استعمال القنبلة الذرية اذا ما نشبت حرب بينهما كما
استعملتها امريكا فى نهاية الحرب الماضية فى هوريشيما وناجازاكي
وانهجمات بين الطرفين متبادلة ، فروسيا السوفينية تتهم
انجلترا بالتدخل فى شئون اليونان واندونيسيا وامريكا تتهم السوفيت
بالتدخل فى اعمالها الداخلية .

وانقسام فى الراى دائب مستمر فى كل مسألة تعرض على هيئة
الامم ، ولم يصل مرة من المرات الى راى اجماعى عدا اتفاقهما على
استنكار العدوان على مصر بل قد حصلت بين ممثلى الطرفين
قراشق بالالفاظ جارحة لاسباب وأهية كما تمتد موجات عالية
كلواء من النفور والكراهية بين شعوب الطرفين .

وقد زادت حدة التوتر بينهما فى الشهور الاخيرة عند تميم
القناة المصرية ، وعندما صدر مشروع ايزنهاور الذى يبيع لامريكا
الحق فى عقد اتفاقات اقتصادية وعسكرية لحماية أية دولة أو
مجموعة من الدول من أى عدوان تقوم به دولة من الدول الشيوعية

وعند انضمام أمريكا الى لجنة حلف بغداد العسكرية في ٣١ مارس ١٩٥٧

وبلغ التوتر أقصاه عندما برزت قرارات برمودة بين إنجلترا وأمريكا ، ومن هذه القرارات : العطف على الشعب المجري واستنكار سياسة السوفييت الاستبدادية لشعوب شرق أوروبا ، والاتفاق على انشاء قواعد أمريكية للقذائف الموجهة في إنجلترا . وما أعقب ذلك من اعلان أمريكا عزمها على انشاء قواعد للقذائف الموجهة في دول حلف الاطنتي : السويد والنرويج والمانيا الغربية ، واليونان - اذا سمحت بذلك - وتركيا والعراق وإيران وباكستان ، وهذا تطور فظيع في الحرب الباردة أوجس الكثير منه في مشارق الارض ومغاربها (١)

أ. ب. الدكتور محمد عوض محمد في مقالته «هذا الكوكب المقلب»
بمجلة «المجلة» عدد مايو ١٩٥٧

العقيدة الانسانية

وظاهر مما تقدم أن الدول الغربية والأمريكية وروسيا السوفيتية قد بذلت وتبذل جهودا ضخمة لاستغلال موارد الطبيعة واستخدام العلم والخبرة الفنية في ترقية الصناعة . ولكنها لم تبذل مجهودا يذكر في فهم الإنسان ، وفي رفع معنوياته . والعمل على إيجاد تعاون حقيقى بين الإنسان والإنسان . واحلال السلام محل الحرب والخصام . وفي استخدام الطاقة الذرية في خيره ونفعه بدل تدميره وافتائه .

ولا امل للانسانية المسمومة بأيديولوجيات الامم الكبيرة وصراعتها البارد والحار ألا بتغيير أيديولوجى جذرى . تغيير روحى يضرب في الاعماق ، تترك فيه الامم الغربية ذات النزعة المادية . والامة الامريكية ذات النزعة البرجمانية ، ودول الاتحاد السوفيتى . وغيرها من الدول التى تدور فى فلكها ذات النزعة العلمية والمادية من وجوب النظر الى معنويات الإنسان قبل النظر الى طاقات المادة فتتخلى الامم الغربية والولايات المتحدة . عن التفريق بين الإنسان الابيض والاسود . وتتخلى عن أنانيتها فى استغلال الأفريقى والاسيوى ، وتنزل كثيرا عن نزعتها الرأسمالية . وفى الوقت ذاته تقدر روسيا السوفيتية كرامة الإنسان واحترامه . وحقه فى القول وحرية فى التفكير وحرية صحافته فى ابداء الراى المعارض وبهذا تتقارب الايديولوجيات ، وتخف وطأة المنازعات السياسية وتخف روح التحامل ، والتعصبات الجنسية ، وبهذا يمكنها ان تعمل سويا فى جو مشبع بروح المودة ، والثقة ، والتعاون لخير البشرية .

واذا كان العلماء يرون أن العالم مقبل على أزمة اقتصادية فى جيلين قادمين بسبب زيادة السكان المطردة ، وأن الأرض الزراعية قد ضعفت خصوبتها ، وأن تكفى لتزويد السكان المتزايدين بالغذاء وأن نصف سكان الكرة الأرضية لم يتعلموا القراءة والكتابة ، وغير هذه من المشكلات العالمية الكبيرة .

فما أجدر الامم الكبيرة ، بمراجعة فكرتها المادية الضارة

والعمل على استخدام هذه الطاقة الطبيعية الجديدة ، قوة الذرة في حل هذه المشكلات ، فقد عرف أن هذه أنقوة تعطى طاقات هائلة للمناطق التي يعوزها مواد البترول والفحم والقوى المائية وانها قادرة على تسيير السفن الكبيرة ، وانها تقلب الصحراوات الى اراض خصبة ، وانها خلق جديد يعلو علوا كبيرا على القوى السابقة ، قوى البخار والماء والكهرباء .

وسيلة هذه العقيدة

وقد يشق على البعض تصور ايجاد هذا التغير الايديولوجي لدى هذه الامم الكبيرة ، لما قد لمسوا من ازدياد صراع هذه الامم يوما بعد يوم ، ومن خيبتها في الوصول الى حل للمشكلات الحاضرة منذ انتهاء الحرب الكبرى الثانية الى اليوم ويستندون في اعتقادهم الى أن هيئة الامم ، لم تستطع التخفيف من حدة الصراع الايديولوجي بين الامم الكبيرة ، ولم تقدر بعد احدى عشرة سنة من العمل على خفض السلاح ، ولم تتفق في هذه الفترة على الوصول الى حل لتعطيم القنبلة الذرية ومعاقبة من يستخدمها في سرعة وعنف ، ولقد تناولت الامم الكبيرة هذه المسألة الخطيرة بالبحث والنقاش ، فارتأتى الاتحاد السوفيتى تعطيم القنابل الموجودة ، وارتأت الدول المخالفة الاشراف عليها بوساطة هيئة الامم ، ووقف البحث عام ١٩٤٨ لان الاتحاد السوفيتى رأى أن تدخل هيئة الامم مخالف لمبدأ السيادة

وكذلك الحال في التقليل من السلاح الحربى ، فقد ارتأت روسيا في المؤتمر المعقود لهذا الغرض ، أن تنقص كل دولة قوتها المسلحة في البر والبحر والجو الى الثلث ، ولم يقبل هذا الاقتراح ، لوجوب قيام جو طيب لايجاد علاقات دائمة وحقيقية بين الدول !

ومع تشاؤم هؤلاء المفكرين في تعديل هذه الدول لايدنيولوجيتها فهناك من المفكرين التقدميين من يحيون الامل في وجود الفكرية الانسانية بايجاد قوة ثالثة تقف موقف الحكم بين القوتين المتصارعتين تقف على الحياد اولاً ، وتعمل على التقريب بين وجهات النظر ثانياً ، وتسمى الى التبشير بروح التعاون . والتعايش السامى وبذر بذرة الفكرية الانسانية الجديدة .

وقد نجحت هذه القوة الثالثة أدبيا فيما اتخذته من قرارات في مؤتمر باندونج - كما نجحت عمليا في موقفها الشريف عند تميم قناة السويس ، وفي موقفها بعد الحرب الطائشة التي شنتها انجلترا وفرنسا واسرائيل على مصر ، ذلك الموقف الانساني المجيد الذي ادى الى عدم نشوب حرب كبرى ثالثة ، ومن حسن الحظ ان مصر وبعض البلاد العربية اعتنقت هذا المبدأ الانساني وهذا المبدأ هو عنصر من عناصر الجوهرية في الايديولوجية الجديدة التي ينادى بها في هذا البحث ! والذي نرى ان يكون اعتناقه عن ايمان قوى ذكى ، وستناول هذه الناحية قريبا .

جذور الأيدولوجية الجديدة

وبعد هذه "لجوة الطويّة" . نوعاً في تاريخ الحضارة القديمة والحديثة . يمكن الاستفادة بهذا التراث الأنسانى القديم والحديث وتعرف عوامل التغير والتقدم في هذه الحضارات . وقد وضح بجلاء أن العامل الثقافى كن ولا يزال من أهم العوامل في التغير والتحضر في عهد الفراعنة . واليونان . والإسلام . وأوروبا الغربية . وأن هذا العامل لم تتأثر به إلا القلة في الحضارات القديمة . ثم تجلّى أثره في "مدنيت الحديثة" . عندما بزغت فتوحات العلم في منتصف القرن الثامن عشر .

وبفضل النخبة المفكرة التى كانت تتفاعل مع بيئاتها . حدث التغير والتقدم . وقد نوهت بأسماء كثير من النوابغ والعابرة الذين أشعروا المصباح في الظلمات .

وكان للثورة الصناعية التى نهضت في القرن الثامن عشر . أثر كبير في تقدم الحضارة المادى . وفي نمو طبقة جديدة هي الطبقة المتوسطة . لم تكن موجودة في الحضارات القديمة . ولا في "لقرون الوسطى" . وهذه الطبقة قد قضت على سلطان الاقطاع والنسبلاء وعملت على ايجاد حكومات ديموقراطية . أقرت حرية الفرد السياسية والاقتصادية

وكان من أثر ازدياد انتاج هذه الطبقة . خلق طبقة عمالية شعرت بحق الوجود والحياة الطيبة . كما تعيش الطبقة المتوسطة . لأنها هي خالقة الانتاج .

وبالنظر لان الطبقة المتوسطة . لم تهتم إلا بالاغتناء والاقتناء دون اهتمام بالطبقة العاملة . فقد برزت الفكرة الاشتراكية كما برزت الفكرة القومية التحريرية نتيجة للاستعمارية الرأسمالية وازدياد نفوذ الاستعمارية والرأسمالية . وتزوعها الى الحصص على الأرباح الفاحشة من أى سبيل . وبخاصة صناعة المدمرات . واستغلال الشعوب الضعيفة . فقد نبعت فكرة ايجاد كتلة ثالثة

لمجاهدتها . وبذر بذور العقيدة الانسانية . والتعايش السلمي
والتعاون بين الامم بعضها بعضا .

هذه نشرات من جذور التقدم ، وهي تراث طيب ولا ريب يمكن
الانتفاع به في معرفة معالم الطريق للأيديولوجية الجديدة التي
ننادي بها .

ولكن هذه الجذور التاريخية لن تثنى بجدواها الا اذا بحمنا العونمل
التاريخية التي ادت الى تقدم كل بلد عربي مثل سوريا وانعراق
او سببت تأخره . ومثل هذا البحث تضيق به هذه الدراسة .
ولهذا نرى الاكتفاء بامحات سريعة كاشفة عن اسباب التأخر
والتقدم في بلد عربي واحد . ونرى ان مصر هي اقرب بلد الينا .
وهي تمثل قايلا او كثيرا حالة كثير من البلاد العربية في اسباب
تأخرها او تقدمها عبر القرون .

الإقليم الجنوبي بين المد والجذر

ونظرة خاطفة الى تاريخ مصر تكشف لنا عن عوامل تأخرها وتقدمها وتنير الطريق الى تعرف وسائل ارتقائها في الوقت الحاضر واول ما نلاحظ أن مصر كانت بين جذر عنيد . ومد ضمين في تاريخها الطويل . ولكنها مع ذلك احتفظت بعنصرها ابقى . وبقيت لها شخصيتها المميزة رغم ويلات الغزو . ونكبات الاستعمار ندى حل بها بسبب موقعها الجغرافي .

كانت مصر القديمة آمنة في عهد الملكة الاولى . بعيدد عن الغزو فامرت حضارة تدهش العالم الى اليوم . وكشف المصري عن ذكائه وابداعه واصالته . ولم يفقد المصري خصاله مع بواى الغزو عليه . فقد بقى على بساطته وذكائه وحبه للمعرفة ونزوعه للعطف والشفقة . وان كانت آثار الغزو طوفت بنفسه شيئا من الشجن . والاسى . وجعلته يشيح بوجهه عن التفكير . والابداع . وهو من فجر التاريخ الى اليوم له ولاء عجيب لدين وحب للحكم العادل . ونزوع الى الحرية شديد . وميل الى الفرحة والتفاؤل واجتناء طيبات الحياة ومباهجها . فضلا عما استقر بنفسه في جيرة النيل العظيم وفي شعاعات الشمس المضيئة . من حب للذة . والالفة ، وروح ائسلام .

وقد لعب الدين في حياته اوجدانية والعملية دورا مهما اكثر مما لعب الدين في كثير من الشعوب الغربية . ونجد ذلك بارورا في عهد القدماء . وبقيت بذرة الدين متغلغلة فيه . تنمو ويزدهر بقدر ما تجد من بيئة صالحة . فلم يغير مبادئه الدينية في الحياة الثانية عندما غزاه الفرس ، أو الاغريق . وقد دخل في المسيحية لما وجد فيها من تماثل لمبادئه . كما اعتنق الاسلام . الذى وجد فيه عاملا من عوامل تقدمه الوجدانى والمادى .

وكما اتخذ من الدين ثقافته الروحية ، فقد فتح بتفكيره آفاق المعرفة . فكان يجمع في عهد القدماء الى التفكير النظري . لتفكير التجريبي . وظهرت آيات نبوغه في الفلك والرياضة والخط والفن والشعر الغنائى والقصص . وظهر هذا الميل في عهد البطاسنة ، حيث كانت الاسكندرية فجا لنور المعرفة والبحوث العلمية والادب

والفن . وكان أغلب الاتجاه الى العلوم والفنون النظرية كالفلك والطبيعة . والادب والفلسفة والموسيقى . وكان لقاطنى الاسكندرية الفضل فى تنظيم وتبويب الاثار اليونانية ، وفى ربط الحضارة اليونانية والحضارة الفريية .

ثم تجلى نبوغه وعبقريته فى العصور الاسلامية فى اقرون الوسطى . اذ جمع المصرى بين التفكير النظرى ، والعمل التجريبي . ولمع فى مصر نوابغ فى علوم الفلك والطبيعة والرياضة وانطب . وقد بسطنا القول فى هذه الناحية فى الصفحات السابقة . ولا تزال نزعتة الى المعرفة قوية وان غطى عليها الاستعمار الانجليزى الذى حارب هذه النزعة . وحرمة الثقافة طوال عهده . ومع هذا ففى الكنانة بذور أصيلة كامنة تهفو الى الضوء والهواء لتخرج من ظلام التربة .

ومن فجر التاريخ . احب المصرى التحرر والانطلاق . ولما اعتنق المسيحية تقوت روحيته . وزاد حبه لآخيه . وعطفه وشفقته على الفقير . ثم جاء الاسلام فقوى حبه للحرية والاباء . واضفى عليه الكرم والمروءة والسماحة . فهو على هذا ديموقراطى النزعة على توالى القرون . وقد كان اضطهاد الفزاة له عاملا من عوامل كرهه للظلم والقسوة والاستبداد .

وقد فتح قلبه للملوك والحكام العادلين . واعلى ذكرهم ورفع اسماءهم . وفى تاريخه الطويل لم يسعد الا بالقليل من هؤلاء الحكام . لقد مجد ملوكه القدماء ووضعهم فى مصاف الآلهة لان بعضهم كان يعمل لصالحه . يقضى الساعات فى خدمته ويعترف عن الله والترف . ورحب ببطليموس الاول الرجل الذى كان مصرىا فى شعوره واخلاصه لمصر . والذى اقام المتحف الاسكندرى وبنى المكتبة العظيمة الشهيرة وشجع الثقافة اليونانية فى مصر .

كما احتفى بحكمة الامبراطور الرومانى تراجان لعادله وحزمه وتحقيق ظلامات الاهالى بنفسه . واحب عمرو بن العاص العربى لتسامحه . وما بذله لمصر من خير كثير . وفى عهد الدولة الطولونية التى انشأها احمد بن طولون مستقلا عن الدولة العباسية . وجدت مصر فيه حاكما مثقفا منصفيا . حارسا للتعليم . ومهتما بشئون الشعب . كما وجدت فى صلاح الدين الايوبى حاكما شهما نبلا

متسامحا . كتب صفحة مضيئة في تاريخها . وأقام لها مركزا حريا منيعا . وجعلها ملاذا ثقافيا يرنو اليه العالم ببصره . ووجدت في محمد على مع حكمه الاقطاعي حاكما مجددا . . أدخل الصناعات ونظم طرق الري وأدخل زراعة القطن طويل التيلة . وقوى الجيش .

وأتى جانب هذه القلة المصنعة . نكبت مصر بملوك وامراء وحكام كثر . قتلوا باستبدادهم حريتها . وأضاعوا بأسرافهم وترفعهم ثروتها . ووجدوا بطانة نهارة منافقة زادتهم عتوا وطفيانا وغرورا . من أمثال بطليموس فلاديفوس في عهد انبطالسة الذي اهتم بالمهرجانات واقامة التماثيل له في قصره وأرهق الفلاح وأصابع بالضرائب المختلفة . ومن أمثال خمارويه في الاسرة الطولونية . وكان متلا فاسرفا . ومن أمثال الحاكم بأمر الله وكان حاكما بأمره . وهو أثيا بعيد التعصب . ومن أمثال ابراهيم ومراد من المماليك . وعباس الاول وسعيد واسماعيل وفؤاد وفاروق الذين حكموا مصر حكما استبداديا . وعاشوا عيشة مترفة وكل همهم كان محصورا في لذائذهم . وانتهاب أملاك الدولة .

وكان بعض رجال الدين الرسميين من عوامل التأخر . اذ كانوا في اغلب العهود من المؤيدين لهؤلاء الملوك والامراء الطغاة المنحرفين . كما كانوا بجمودهم وتزمتهم ومحاربتهم للعلم غير جديرين بحمل رسالة الدين .

ويضاف الى ما تقدم من عوامل التسيو هين والتأخير . ما كان يقنصه الخلفاء المستبدون من ضرائب متنوعة كثيرة . وما كان يستلبه بعض الامراء من اموال في أيام ولايتهم . وما خلفه الاتراك والمماليك من نظام اقطاعي . أضف الى ذلك حالة البلاد الاقتصادية حتى عملت ثورة يوليو ١٩٥٢ على التحرر منه .

ومن الاهمية بمكان أن نسجل حقائق ثلاثة تترشح لنا من دراسة تاريخ مصر الطويل : الاولى هي وجوب استعداد مصر حريا لرد عادية المغير عليها والطامع فيها بالنظر لموقعها الجغرافي الفريد . وبخاصة بعد أن زرع الاستعمار دولة اسرائيل .

فلقد كانت مصر في قعر التاريخ آمنة وكان أهلها مسالمين ، كانت آمنة لحماية الصحراء لهم . وعندما هاجمها البراعة وجدت في مصر طبقة المحاربين : وتمكن أحسن من طردهم .

ولبثت مصر هدفا للمغيرين ، وهي وان تغلبت عليهم جميعا فإنها

أبطال في ذلك إبطاء طويلا . وعاونها الصبر وعنصر الزمن في ذلك وفي فترات حيويتها الحربية . تمكنت من صد هجمات المغيرين العتاة ، وكانت من أشد الأعوان للبلاد العربية عندما صدت هجمات التتار الوحشية . في أيام المك قطز . وعندما أنهت حملات الصليبيين في أيام صلاح الدين .

وفي أيام الدولة الطولونية تعهدت للدولة العباسية بحماية الشام وأهله والعواصم والشغور في طرسوس وما حولها . وجدير بالجمهورية العربية المتحدة أن تضع كلمات عمرو بن العاص وهو يخاطب أهل مصر من مسجده . نصب عينيها في كل زمان ومكان . . وأنه يقول :

« اعلّموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم . تتجه قلوبهم اليكم . . وتشوق إلى دياركم . معدن الزرع والمسال والخير الواسع والبركة النامية » . .

والحقيقة الثانية : هي أن الأقليم الجنوبي بلد ديمقراطي بطبعه . وأنها ليست حديثة العهد بالحكم النيابي . وليس الدستور طارئا جديدا عليها . فلقد شهدت في حكم أمنحوتب الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشرة نوعا من الحكم النيابي . فقد أنشأت قصر فخمة على مقربة من الملاهون بالفيوم . . كان يجتمع فيه نواب من كل إقليم يتشاورون في شئونهم . .

وشهدت أيام العرب حكم سوريا في جوهره ، وإن لم يشكل بالشكل البرلماني آنحاضر . ووجد بهيئته مجلس شورى النواب أنشئ في أكتوبر ١٨٦٦ وكان مكونا من خمسة وسبعين عضوا وكانت له لائحة تأسيس هي بمثابة الدستور . وفي عام ١٩١٣ أنشئت الجمعية التشريعية . ثم خطت خطوات واسعة بعد ذلك ، وأنشئ بها - حكم برلماني في عام ١٩٢٤ ولولا محاربة المستعمر له ومجاهدة فؤاد وفاروق لسار هذا الحكم سيرا موفقا .

وتبقى حقيقة ثالثة تفوق ما تقدم من حقائق . هي أن وجود الأقليم الجنوبي في قلب البلاد العربية . وبين الشعوب الأفريقية والاسيوية يحتم عليها الارتباط الوثيق الدائم بالبلاد العربية لاخرى . على أن يشمل هذا الارتباط النواحي السياسية والاقتصادية والانتاجية والمالية والثقافية . وهذا الارتباط تدعو اليه دوافع العروبة الصحيحة وتاريخ مصر عبر القرون ، الطويلة وتمليه اواصر الموقع الممتاز

ووحدة اللغة ووحدة المصالح . ولن ننسى توثق هذه الروابط بين مصر وهذه البلاد في فجر لتاريخ . ولن ننسى أيضا تبادل الثقافات بينها في أيام عصور الغزو . ولن ننسى تقدمها الحضارى في القرون الوسطى في العصر الاسلامى . ولن ننسى وقفات مصر الخالدة في رد هجمات التتار والصليبيين . ومساهمتها في استقلال لبنان وسوريا في الحاضر .. وفي معاونتها الاخيرة للاردن وحمائتها للنقب وخليج العقبة . وهما المنفذ الى بلاد الحجاز وشرق الاردن .

صلات جغرافية وتاريخية وروحية وثقافية وثيقة .. توجب علينا التوحد واعتناق العروبة عقيدة . وهى عقيدة تقدمية انشائية بلا مرأى .

وننتهى مما تقدم من حقائق كبيرة الى صورة مصفرة من عوامل التقدم أو التأخر في الاقليم الجنوبى .. وهى عوامل أثرت الى درجة ما في البلاد العربية الاخرى .. عبر تطورات التاريخ ، ومن هذه الحقائق نضع الاساس المشترك للويدولوجية العربية الجديدة .

أركان الأيدولوجية الجديدة

وننتهى : بعد هذه الجولة التاريخية الطويلة ، الى أن الروحانية
البنائية كانت من أركان التقدم العربى . وأن الروح الديمقراطية
من أركان انبثاق الفكر الحر فى ايجاد الحضارة العربية .. وأن
العروبة هى فكرة تقدمية انشائية . وفى ظلها يقوم التقدم الحقيقى
للبلاد العربية .

وعلى هذه الحقائق القائمة على التاريخ العربى الحى ، يمكن
تأسيس ايدولوجيتنا الجديدة .. وعلى ما استعرناه من أفكار
مذهبية أخرى كالفكرية الديمقراطية الحديثة والفكرية الاشتراكية
ناعتدلة ، يتكون مزاج هذه الأيدولوجية .. فى وحدة متفاعلة
متكاملة ..

والبيئة العربية اليوم .. وأن تيقظت وزكا وعيها ، فلا يزال
يهوم عليها طائف التقاليد والاعراف المؤخرة . وأفكرات التقدمية
لم تختمر فيها . ولا مفر اذن من تغير جذرى فى كثير من مواضعها
وطرائقها الحياتية .. ودفعها الى الامام فى الشواحي الفكرية
والاقتصادية ، وقد أصبح هذا ممكنا بعد أن تفتحت القلوب
والاذهان : وتولد وعى جديد للبعث . وازاحة هذه المبادئ السود
التي خلعتها عليها عهود الظلام ..

وأهم ما يقوم عليه التغير هو بث الثقافة الروحانية البناءة فى
أرجاء البلاد العربية :

الثقافة الروحية

والروحانية التي تقصد اليها ، هي تلك التي تستمد جذورها من جوهر الدين وروحه : وتنهل من نبعه الصافي . ومبادئه الانسانية وتعاليمه الاجتماعية والخلقية السامية . وتطبق هذه المبادئ والتعاليم تطبيقاً عملياً ، لا قولياً .

وأول هذه المبادئ ، التجرد عن الطائفية الدينية . التي سببت النكبات في قرون وقرون . . ومعاملة جميع الطوائف معاملة ديموقراطية شاملة ، والتسوية بين الجميع . . لا فرق بين عربي وعربي الا بالمقدرة . . وفضيلة المواطنة . . ناظرين الى التراث الاسلامي والمسيحي نظرة قومية وانه عنصر من التراث العربي العام ، وان كليهما على ضوء هذه النظرة . . يعدان عاملاً لتوحيد بين بناء تلك الطوائف (١) .

وهذه النظرة القومية الانسانية المتسامحة هي نبع من ينابيع الديانة الاسلامية والمسيحية ، فالآية القرآنية الكريمة : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . . » تزكي هذا المبدأ القومي الانساني ، وآية الانجيل : « ان الله ، لا يوناني ولا يهودي . لا بربري ولا احمر . لا عبد ولا حر » شهيدة على هذا التسامح الكريم بين جميع الطوائف والملل .

وقد شهد التاريخ انه في ظل هذه الروح العربية المتسامحة : انتشرت الحضارة العربية ، وريت الثقافة ووجدت الفلسفة طريقها الى العربية ؛ وعندما ساد التعصب تدهورت هذه الحضارة ، وملت عصور الظلام رواقها على انشاء العروبة ، وفي ذلك يقول برتران توماس في كتابه « العرب » :

« ليس التدهور الحضاري العربي ؛ راجعاً الى الدين ، انما

(١) العقل في الاسلام - تأليف كريم عزقول -
مكتبة صادر - بيروت

يرجع الى التعصب الضيق الافق ، ولتفسير المنحرف للدين

ومن المبادئ الدينية الاساسية، المحبة، وهي ليست احساسا عاطفيا ذاتيا فقط ؛ بل هي عنصر ضروري لتضامن الاجتماعى ، (١) وهيثمر روحا من التعقل واصالة الراى وتبادل المنافع ، وتمنع الاحتكك والنجوى الى القوة ؛ وهي قوة دافعة الى الخير ، والى العدالة وحق مجتمع ينتهى منه الاستغلال وابتزاز اموال الناس؛ وما اخدمات الاجتماعية التى تطبق لدينا الا اثر من آثارها .
والاخوة التى نادت بها الثورة الفرنسية هى وحي من آيحاءاتها، والاشتراكية العامة على انصاف العامل اتهام من الهاماتها .

ويقول الكاتب الروسى نيقولا براديف : انها كانت حافزا من الحوافز التى حركت روسيا الحاضرة الى ايجاد مجتمع تزول فيه الطبقات ، الا ان زعماء روسيا قد حادوا عن روحيتها واستخدموا العنف واراقة الدماء ، وجعلوا حركتهم مادية ملحدة (٢)

والى هذه المبادئ الدينية العظيمة التى اوجزنا الحديث عنها، التسامح والمحبة ؛ والعدالة والاخوة ، تنبت مبادئ اجتماعية جيلة بذكر منها الحرية : والتعاون الاقتصادى ، والحرية فى جوهرها روحية ، وقد دخلت فى ميدان الحياة ، وعملت على ترقية المجتمعات ، أما التعاون الاقتصادى فبذرائعه مبنوثة فى الدينات المنزلة : ومن آيات ذلك قول القرآن الكريم « والذين فى اموالهم حق معاوم لسائل والمحروم » . وما نجده فى اتوراة من الحظ على ترك جزء من المحصرل لفقير واغريب ، فقد جاء بسفر اللاويين بالاصحاح التاسع عشر « وعندما تحصدون حصيد ارضكم ، لاتكمل زوايا حقك فى الحصاد : ولقاط حصيد لاتنقط ، وكرمك لاتعلمه ونثار كرمك لا تلتقط ، للمسكين واغريب تتركه » .

فمثل هذه المبادئ الروحية واشباهها ؛ هى حوافز تقدمية بلا ريب ، وقد كانت قوى قوية فى احداث التغيير بالمجتمع : وهى

(١) آراء رينولد نيوبهر فى كتاب « اعلام الفكر الاوروبى »
تلخيص حبيب سعيد ص ١٤٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٧٨

جواهر نفيسة جديرة بإبرازها وتطبيق وحيها في المجتمع العربي المتوهم لتقدم ؛ بدل اسجوء الى اترهيب والتخويف : واذاعة الاسراييات ، وبعض مقولات المتصوفة المعيقة للارتقاء . من مثل قوتهم .

« الفقر نور » و « واثيلة ترك الحية » و « المؤمن لا يخلو من ذلة وقلة وغنة » ! وان طب الرزق واسبابه ليس بلازم لعبد واشباهها من الاقوال القائلة للحافز الى العمل والجد والجهاد في الحياة .

وفي ذلك يقول الفرد يونيه في كتابه « الدوة والاقتصاد في الشرق الأوسط » :

« ان المحوظ بين ارباب المهن كالتجار والمقاولين من رجال الشرق العربي : عوز الدافع والاراء الخلاقة ، ومرجع هذا الى رواسب التعاليم الصوفية

ومن وحي هذه الروحانية ، فتحت القلوب والعقول على تأمل ما في الكون ؛ وتدبر ما يعج به من أحداث وما يجري فيه من شئون وبفضل هذا الايحاء سعت ابلاد العربية في عصورها الذهبية الى المعرفة ، وتوسعت في فنون اعلم ؛ وطلب الحقيقة ، والقرآن الكريم ملئ بالآيات الكثيرة الداعية الى التأمل والتفكير ، وفي الانجيل آيات مماثلة ، واقول الرسول عليه الصلاة والسلام دعوة جهرة الى الارتواء من العلم ، وطرق ابواب المعرفة من كل منبيل ؛ فالحكمة ضالة المؤمن ، وطلب العلم فريضة ، ومداد العلماء خير عند الله من دم الشهداء ، هي دعوات صريحة الى التزود من المعرفة وفضل طلابها ؛ وما جاء في الانجيل من قوله : « تعرفون الحق ، والحق يحرركم » وقوله : « الحق يفيضون العلم . اما اذن الحكماء فتطلب علما » .

مثل هذه الاقوال الثورانية دفعت بالعرب الى ميادين العلم في العصور الذهبية ، وحينما كان علماء المسلمين يضعون أسس العلم الحديث ؛ كان المفكرون من المسلمين والمسيحيين يبحثون معاً معضلاتهم الفلسفية واللاهوتية المشتركة ، ويفيد بعضهم من بعض كثيراً من ضروب المعرفة (١) -

ولما هجر ابناء العرب هذا النزوع العلمي الحضاري تدهورت حضارتهم ، وعاشوا في انظلام عدة قرون ، وفي ذلك يقول برتران توماس في كتابه « العرب » السابق الاشارة اليه :

(١) انشافة الاسلامية والحياة المعاصرة ص ٤٢

« ان الدين في ثقائه لم ينابد التقدم : بل انه في ايام الحضارة العربية سار جنباً الى جنب مع انعم ، وان تقدم الحضارة الباهر في ايام المنصور والمأمون يرجع الى ملازمة الدين للعلم ؛ وعند افتراقهما تدهورت الحضارة العربية .

ولا يتسع مجال هذا الكتاب ، لبسط المبادئ الاجتماعية والخقية والانسانية ، التي تنبع من آثار الدين اصفية . ومحور هدفنا هو إعادة تجديد الفهم الديني ، وبرز مبادئ الدين الروحية ، الداعية الى التسامح والمحبة ، ولاخاء ؛ وحرية والتضامن الاجتماعي ، والى اتمل وتفكير ، وان تعمل المؤسسات العربية على أدعة هذه المبادئ ؛ ووضع منهاج روحي تقدمي تسير عليه هذه المؤسسات . فلا يكون المنبر الديني أداة لوعظ اكلامى فقط ، بل يكون منبرا للدعوة الى انواحى الاجتماعية والفكرية ، وحل مشكلات الناس اليومية . وينبثق من المسجد او المعبد ، نشاط حى لخدمات الاجتماعية والتعاونية بشكل عملي ملموس ، كما تكون المدرسة متابة توجه طلابها الى القيم الروحية او المل العليا ، المنظوية على النظر الى الانسان من حيث اسانيته تاركة انعاليم الغيبية ، والمسائل العويصة التي قد يتقاه الطلاب بتحفظ عقلى ، وعاملة في الوقت ذاته على معاونة الطلاب على الخروج من ازماتهم الانفعالية .

ومثال هذا الاتجاه الجديد ، يتطلب كوكبة من المفكرين الشجعان البصراء لعمل على تنقية الدين من شوائب البدع والخرافات وتطهيره من الاساطير والاسرائيليات ، التي ترعرت في عصور الجهل والتعصب ، والاستبداد . رجالا مجتهدون يفسرون الدين على ضوء العقل ويجعون منه أداة تقدمية انشائية ، ويضعون المعارف الروحية الصالحة لتوجيه رجل الدين ، والمدرس ، ورجل الدولة بهذا الاتجاه الثورى الجديد .

واذا لم تتقدم النخبة الواعية لمسايرة الوعي العربى الصاعد وحل مشكلاته حلا عصريا . فسيبقى الشباب العربى يفصل بينه وبين رجل الدين . برزخ واسع ؛ وستعطل في البلاد العربية أداة من أدوات الثقافة الروحية والوجدانية بل الفكرية النافعة .

وانه ليسوءنا ان نرى جماعة من اهل ائتين . يقفون في جمود

وتزمت الى اليوم فيحملون على المرأة وتطعها الى نيل حقوقها المدنية والاجتماعية والسياسية او يحمّون على النظم الديموقراطية وفيها حصنة كبرى للشعوب العربية او يتهمون على اعزمية مع اها دعمة الوحدة والآلفة في كل بلد عربي . او يقفون في وجه التشريعات الحديثة التي قد يظنون انها لا تتواءم مع الآراء السلفية وامثال هؤلاء الجسامدين المتزمتين . يعرقلون ركب التقدم ، ويحكمون على انفسهم بالعزلة والحصر الذهني .

ومن حسن الحظ . اننا نجد الى جانب هؤلاء جماعة منورة تحاول ان تكشف عما في روح الدين وجوهره من طاقات تدمية وقدرة فائقة على مسايرة أئروج العصرية في المسائل الدنيوية والعنلية والقانونية . يرى الدكتور على فيظي في بعض مقترحاته التجديدية : الفصل بين العقائد ومقرراتها وبين مبادئ القانون وقواعده . وعادة تفسير الكونيات ويترك من نسيج الدين النواحي التي لا يقرها اعم ويرى الدكتور عبد الدايم البفري في كتابه « الفلسفة الاسلامية » :

« ان الحرية التشريعية جائزة وصحيحة لان الضرورات تبيح المحظورات ولهذا يضحى بالدين لخدمة الفرد ولخدمة الجماعة . وان التشريع للدولة يخضع لخصائص الامه وطباع الشعب وتفكيره مستضيئاً بمبادئ القرآن والسنة . وهما يقبلان كل شيء فيه فصحة عامة ، ومصاححة الفرد ومصاححة الجماعة ، هما الهدف الاول . ان لم يكونا الهدف الاوحد (١) .

ويرى انعام انحجة المرحوم عبد الوهاب خلاف : « ان الاحكام الدنيوية ما قصد بها الشارع الا تحقيق مصالح الناس ، ومحال ان يكون المجتهدون السابقون قدروا مصالح عصرهم ومصالح العصور المستقبلية ، كما انه غير ممكن ولا معقول ان ننظر الان في تقدير المصالح بالعيون التي كن ينظر بها المجتهدون في اقرون الثالث الهجري مثلاً (٢) .

(١) الفلسفة الاسلامية للاسلام ص ٣٦، ٣٥ - ١٩٤٧
(٢) مجلة لواء الاسلام : مقال بعنوان « واجبتنا في خدمة إنفقه الاسلامي » .

وتبعاً لهذه النظرات التقدمية الخفيفة ؛ يمكن بناء كيان تقدمنا الاجتماعي والسياسي ، دون اختلاف ، ولا مما حكمة ؛ فتكون أمور الحكم من الأمور التي يجب فيها الشورى ، ويعول فيها على رأى الأكثرية ؛ واتباع النظام انديموقراطى ، ويؤيد هذا ما جاء فى كتاب الاستاذ عبد المتعال الصعدي « فى ميدان الاجتهاد » : ان الاخذ برأى الكثرة سنة من سنن الدين ، وان هذا مباح فى أمور الدنيا كلها وهى من السعة بحيث لا تحصى ولا تعد » (١)

والمبادرة انى ايجاد نظام للأسرة العربية موافق لروح العصر . من الضرورات لتقدم ، دون تقييد بأراء بعض الكتّابين ، وذلك بالاقتصار على زوجة واحدة الا فى حالة الضرورة القصوى ، وهذه الضرورة لا يقدرها الزوج الذى يتابع أهواءه وزواته ، بل يقدرها القاضى ، ولا يباح الطلاق ايضا الا فى حالة الضرورة القصوى ، ويقدر ذلك اتقاضى ايضا ؛ وفى حالة التعدد او حالة اطلاق الضرورة ينظر فى تأمين المرأة ، كما ينظر الى رفع القيود عن المرأة فى حالة خلافها مع زوجها ، وانظر فى الغاء ما يسمونه « بيت الطاعة » عند ادعاء الزوج مجافاتها له او نشوزها عنه .

ومثل هذه المقترحات ، مما تؤيدها روح الدين ، ومما تقتضيه المصلحة العامة فى هذا العصر ؛ وقد جهر به بعض رجال الدين ونذكر مما وقع لنا فى هذه المناقشة ، رأى الاستاذ عبد المتعال الصعدي ، وقد هاله تأخر الأسرة المصرية المسلمة ، وما يحدثه تعدد الزوجات من سوءات ؛ فى وجوب تقييد التعدد والاقتصار على الزوجة الواحدة ، جنباً لمصلحة الأسرة ودفعاً لمفسدة ابنائها ، اذ قل : ان التعدد ليس واجباً ولا مندوباً بل مباح ؛ ويحكم الاباحة تسرى عليه سائر الاحكام ، ويجوز لسلطان أن يغير فيه

ويبدل بحسب ما تقتضيه ظروف الاحوال والزمان (١)

وكذا الحال في اطلاق فهو « ابغض التحلل الى الله » حتى ان بعض الفقهاء - كما جاء في المبسوط - ذهب الى حرمة (٢) .

ويطيب لنا ان نسجل في هذا المقام ، سبق تونس الى تقرير هذه الحقوق التقدمية للمرأة ، فقررت عدم اباحة انتعاده الا في احوال نادرة ، وبحكم من القاضى . كما قررت عدم اباحة الطلاق الا بحكم من القاضى .

وبمثل هذه التشريعات العصرية وامثالها تدعم الاسرة العربية، وهو ما تفكر فيه مصر ، وما سجلته في دستورها الجديد في المادة ١٨ من كفالتها لدعم الاسرة وحماية الامومة والطفولة ، وهو ما تعتقد انها سائرة في تنفيذه في وقت قريب .

ونحن لا نقف عند هذه التجديدات القليلة ، ولكننا نرى المبادرة قورا الى احداث تجديدات شامة واسعة ، توحى بها المبادئ الروحية التي اسلفنا على ذكرها من مثل : اتباع سياسة عادة بين جميع الطوائف في البلاد العربية ، وتربية روح التسامح الدينى، وتغيير المناهج الدينية التي تدرس الان ، باختيار النصوص المتفقة مع العلم ، وروح العصر ، وتفسير هذه النصوص على ضوء العقل ، وتوسيع آفاق طلاب الدين العامية والسيكولوجية والاقتصادية ، ليعاونوا على تشكيل الخلق العربى ، وتكليف شخصيته، وتاهيه للايدويولوجية الجديدة التي ندعو اليها، والتي تتفق في امر معنوى واحد هو خير المجتمع العربى، وفي امر اجتماعى هام هو تقدير الانسان والاعتزاز بكرامته ، وفي امر فكرى نافع ، هو الاهابة به الى التفكير والتأمل ؛ وفي امر سياسى عام هو استقلاله ومعرفة حقوقه الدستورية ، وفي شىء اقتصادى عام هو عرفان حقوقه الاقتصادية لرفع مستواه المعيشى .

.. وبهذا يحدثون ثورة روحية تقدمية بناءة .

(١) « لماذا انا مسام » ص ٧

(٢) المرجع السابق ذيل ص ٥٣

الديموقراطية الموجهة

والركن الثاني من اركان الايديولوجية الجديدة هو الديمقراطية، التي تعتمد حرية القول والفكر والمساواة بين جميع الافراد واطوائف ، وروح التسامح ، ولرضا بحكم الكثرة الشعبية . كما تعتمد الايمان بعميق بكرامة المواطن وحقوقه الانسانية .

والديمقراطية ليست نظاما لحكم فقط ؛ وانما هي اسلوب حياتي يسير عليه الكافة في معاملاتهم ، واتصالاتهم ، وهي بهذا تستمد وحيها من المبادئ الروحية السامية التي اسفنا على ذكرها قريبا ، وعلى راسها المحبة والاخوة والعدالة والتسامح .

وهذا الاسلوب الحياتي هو حجر الزاوية في بناء نظام ديموقراطي لحكم ، وتحقيق هذا الاسلوب ليس سهلا كما قد يبدو اول وهمة، ولكنه يحتاج الى جهاد نفسي شاق ، لما جرى عليه تقليد من تمايز الافراد اصلا ومولدا ، وكفاية ؛ وعملا ؛ نتيجة سيطرة الاقطاع ؛ والاستقراط ، وما رسب في كثير من الازهان العربية من سلطان الغزاة والمستعمرين .

وامهذا لا مفر من بذر الوعي الديموقراطي في المجتمع العربي، لتعود اليه حريته ، وتنبعث شجاعته ، وتنشق نزعته الى الابداع والاصالة .

وحالما يتقوى الوعي الديموقراطي ، فان نظام الحكم يتاون بروحه ، ويسير سيرا موفقا رشيدا ؛ فانوعي قوة لكل نظام .

الوعي الديموقراطي

والوعي الديموقراطي لا يقتصر على الناحية الروحية والادبية او الناحية السياسية والمدنية ، بل انه قد تغفل في النواحي الاجتماعية ، والاقتصادية ، وقد ابان التطور التاريخي تنقل هذا الوعي وتطوره ؛ وتعمقه ، وسجلت اندساتر الحديثة هذا لتطور الحديث .

فلقد كانت دساتير ما قبل الحرب الكبرى الاولى مقصورة على حقوق الافراد السياسية والمدنية ، ثم انفتحت بعد اخرى ، الى الحقوق الاجتماعية ، واعمل على خدمة الشعوب بايجاد عدالة اجتماعية - وذلك في الفترة ما بين احريين الكبيرتين . وهذا مذبوت في دساتير البلاد الديمقراطية المتقدمة مثل السويد والنرويج والدنمرك وسويسرة ، وفي الفترة التي اعبت احرب اشانية تناولت الدساتير الحقوق الاقتصادية واعمل على رفع المستوى الاقتصادية لشعوب ، وهذا مانجده في كثير من دساتير البلاد الاوروبية ، مثل فرنسا .

وقد خطت بعض البلاد العربية خطوات طيبة في هذا السبيل ، فاشتمل الدستور السوري على كثير من هذه المبادئ الجديدة ، كما احتوى الدستور المصري الصادر في عام ١٩٥٦ على مثيلاتها ، فجمع بين الحقوق السياسية ، والحقوق الاقتصادية ، واجاز حرية انشيط الاقتصادية الخاص ، على ان لا يعدو على النشاط الاقتصادي العام في المادة الثامنة والعاشرة من هذا الدستور ، واباح استخدام راس المال في خدمة الاقتصاد القومي على ان لا يتعارض في طرق استخدامه مع الخير العام لشعب في المادة التاسعة ولا يتسع هذا البحث لبيان ماسجله اندستور من حقوق اجتماعية واقتصادية ، لم يعرفها واضعو دستور عام ١٩٢٣ وخلا منها خوا تاما .

وليست العبرة بالطبع بما يزدان به اندستور من مبادئ تقدمية ، ولكن العبرة بتطبيق هذه المبادئ ، تخلق الوعي الديمقراطي الجديد في بلادنا العربية ، ليفهم الشعب وزجال الحكم والنواب هذه المبادئ ، وكيف يزرعونها في قلوبهم ، ويعمقونها في اذهانهم .

خلق الوعي الديمقراطي

ولا مفر لخلق الوعي الديمقراطي من وجود مواطن مثقف ، فالمواطن المثقف يكون اكثر نزوعا الى روح التسامح . والتفاهم مع من يختلف معهم في الرأي ، واناخب المتعم اقدر على التمييز والحكم على من يتقدمون لنيابة عنه فلزام علينا لتخمين هذا

الوعى المبادرة بتعليم المواطن العربى ومحو الامية محوا نهائيا فى امد قصير من جميع البلاد العربية على ان يجند المتعلمون مع الحكومات لهذا الهدف القومى النبيل ، فلا تقدم ديموقراطى خيقتى بغير هذا اتعليم ، وفى هذا يقول الكاتب الكبير توماس مان فى كتابه « الديموقراطية القادمة » .

« ان غاية الديموقراطية هى تعليم الشعب ، والديموقراطية الحققة ارض خصبة لقريحة والادب ، والحقائق النفسية .

وليس التعليم وحده هو وسيلة تقوية الوعى الديموقراطى ، بل لامفر من العمل على رفع مستوى المواطن المادى ، فمثل هذا العمل ، يقوى حرية المواطن ؛ ويشعره بقدره وكرامته ؛ بل يجعله فى كثير من الاحيان نزاعا الى التسامح ، ويقول الكاتب الاشتراكى الشهير هارولد لاسكى فى هذا الصدد : -

« ان الراى العام لا يتقوى بالتعليم فقط ، بل بترقية حال الناس الاقتصادية ، وأن تنظيم الجماعات حسنة الحال أسهل بكثير من تنظيم الجماعات الفقيرة » .

الاتحاد القومى

واذا كان الناخب لم يتزود بعد بالثقافة المطلوبة ، ولم يرتفع مستواه المادى لمواجهة أى غراء مادى من المتقدمين للنيابة ، فعلى مواجهة هذا الواقع المادى ، لايجاد ديمقراطية تتفق مع هذا الوضع ، وقد فكر كثير من المفكرين فى هذه الناحية ، فارتأى بعضهم جعل الانتخاب على درجتين وارتأى آخرون تمييز الناخب المتعلم على الامى واعطائه أصواتا أكثر ، وهذه الآراء هى آراء ضيقة متعصبة ، وتخالف الروح الديموقراطى الشعبى ؛ لان الانتخاب المباشر الذى لا يميز مواطنا على آخر هو جوهر من جواهر الديموقراطية كما يقول الكاتب الانجليزى الحر ولف فى كتابه « بعد الطوفان » فضلا عن انه وسيلة لتهديب الراى العام ، كما انه يشعر المواطن بذاتيته .

وقد فكرت مصر فى وسيلة جديدة لمواجهة الناخب ، بتكوين اتحاد قومى ، لترشيح المتقدمين للنيابة من قوى الصلاحية والامتياز ، وهذا ما سجله الدستور المصرى الجديد فى المادة ١٢٢ ؛

وهو استحداث جديد لم يرد في الدساتير الغربية ، وقد يكون هذا أداة لتغلب على عدم قدرة انتخاب وحكمه على اقدار المتقدمين للنيابة ، وطريقة يمكن بها ملافاة ضعف مستوى المرشحين ، مما يترتب عليه ضعف السلطة التشريعية ازاء السلطة التنفيذية ، كما ورد بالمذكرة التفسيرية لقانون رقم ٢٤٦ لسنة ١٩٥٦ .

ومهمة الاتحاد القومى مهمة خطيرة ، فى تهيئة جماعة متوازنة منسجمة ذات ميول وطنية تقدمية ، واول واجباتها النظر فى وفادى العيوب التى كنت موجودة فى حياتنا النيابية السابقة ، باختيار الاقدر والاصاح من المتقدمين لنيابة . كما يختار القضاة من اطيب العناصر ، على ان يراعى فى هذا الاختيار تمثيل جميع انطوائف ، فىكون من المرشحين عدد من ممثلى الفلاحين والعمال واصناع وعدد من ذوى المهن الحرة ورجال الاعمال ذوى النيات الخيرة ، وترك الراسمايين الكسالى والتافهين ، لان وجودهم بمجلس الامة يؤثر فى قراراته تأثيرا غير مرغوب فيه .

ونحن نكتب هذه الكلمة قبل تكوين الاتحاد القومى ، ونشهد من المتقدمين لنيابة اناسا لاكفاية ولا تجربة لهم ، وادعياء لايدرون شيئا عن الاعمال البرلمانية ، وقد دفع هؤلاء الى التقدم للنيابة حب اشهرة واظهار ، وامثال هؤلاء يجب استبعادهم ، ويرشح للنيابة ذوى المقدرة والتجربة والنخى القوى والشجاعة والنزاهة . دون النظر الى اى اعتبار آخر .

ونحن نعتقد ان هذه التجربة الانتقالية الجديدة ، سوف تكون نقطة تحول فى حياتنا انديموقراطية اذا وقع الاختيار على ذوى الكفاية والخلق اقوى ، واذا انتهى انتخاب الشعب بفطرته الذكية الى احسن المتقدمين واقدرهم ؛ دون نظر الى اعتبار الغنى او الاصل او المهنه او اختلاف الجنس ، فالفقير الكفاء خير من الغنى العاجز ، والعامل المتعلم المتحمس خير من اتقاعد العريق الاصل والصانع المتفتح اوعى خير من صاحب العمل المقل والمرأة المتقدمة حديثا لنيابة قد تكون اكفا واقدر ، وانفع من الرجل

وستكشف الايام اقربى عن جدوى هذه التجربة اذا استخدمت استخدمنا واعيا بصيرا عن مجلس جديد حسن التوازن فى تمثيل

الشعب ؛ وعن وجوه جديدة تؤدي عملها في شجاعة وحرية؛ فتتفق مع الحكومة في المسائل القومية ؛ وتنفذ أعمالها العامة في إخلاص وذكاء .

قوة النظام الديمقراطي

ولكى تزدهر الديمقراطية - لا مفر من وجود حكومة رشيدة قوية وواب عاملين متحركين ، وانظمة وطيدة لدعم النظام الديمقراطي ، وتتفادى سيئاته المعروفة .

وفي البلاد العربية حكومات مختلفة ألنظم منها حكومات جمهورية ديموقراطية ، ومنها حكومات ملكية ديموقراطية ومنها حكومات ملكية لم تعتمد النظام الديمقراطي الى اليوم .

وبغض النظر عن نوعية النظام ، إادى انراى ، فانه يهمننا في الدرجة الاولى صفة الحاكم الاول ، رئيس جمهورية كان أو ملكا ، لان في يده مصير شعبه ومستقبله ؛ وشعبه امانة في عنقه ، وفي وسعه العمل على انهاضه ورفع شأنه

والحاكم الاول في أى نظام له سلطة واسعة ، وان تقيدت هذه السلطة بإرادة الشعب ، ولكنه على أى حل مسئول عن التفانى في اسعاده والسعى الى خيره والتجاوب معه في رغباته وميوله ، وسعادة الحاكم من سعادة شعبه ، فاذا تقدم الشعب وشعر بالرخاء ، سطع حاكمه وعظم قدره ؛ واذا افتقر الشعب وضعف؛ ضاعت سطوة الحاكم وخفت قدره .

والحاكم الاول اذا كان يسير على النظام الجمهورى أو الملكى، له سلطات عدة يشترك معها فيها العاملون معه ، فالحاكم الجمهورى له وضع انسياسة العامة لحكومة . وله حق تعيين الوزراء ، وله حق الاعتراض على القوانين ، وله حق حل المجلس النيابى ، وغيرها من الحقوق . ولكن هذه الحقوق مقيدة بإرادة الشعب، ويمعاني انواجب ، واملاء الضمير ؛ فهو في وضعه السياسة العامة ينظر الى صالح بلاده وخيرها ، ويرجع الى آراء وزرائه ، ويسير على الراى السديد الذى يترشح من تبادل الآراء معهم ، وهو في تعيين الوزراء ينظر الى الرجال البارزين ومن يرضى المجلس النيابى عنهم ، وهو في اعتراضه على قانون ماينتظر الى الصانع

العلم قبل أى اعتبار آخر وحقه فى حل المجلس مقصور على الحالات الخطيرة اذا ما تضافرت الدلائل على أن المجلس لا يمثل الأمة ، ولهذا ترى بعض الدساتير الحديثة تحدد مدة لا يجوز فى انتهائها الحل وهى مدة ثمانية عشر شهراً ، وهذا ما جرى عليه الدستور الفرنسى فى المادة ٥١ ، والدستور السورى فى المادة ٨٥

وكذا الحال فى الملك الدستورى ، فهو وان كانت الدساتير قد وفقت عنه المسئولية السياسية ، إلا أن له اقامة الحدود الدستورية ، وله حقوقه فى اختيار الوزير الاول وفى اقالة الوزارة ، وحق حل المجلس النيابى ، وحق الاعتراض على القوانين ؛ ولكنه لا يلجأ الى هذه الحقوق إلا فى الاحوال باغة الخطورة ، وفى الازمات الحادة ، كحالة تصدع حزب الكثرة او نشوب نطاحن حزبي نازل ، او عند انحراف حزب الكثرة عن واجبه الدستورى وما أى هذه الاعتبارات الخطيرة ، ومع هذا فالملك الديموقراطى يمكنه بنشاطه وجده انتهاض شعبه ، والعمل على خيره ونفعه .

ويتأو رؤساء الدول فى الاهمية ، الوزراء ، وينبغى أن يكونوا من ذوى الكفاية ، والافق الواسع ؛ ومن الذين يدينون بحب الخدمة انعامه وحبذا لو كان بعضهم من المتخصصين فى أعمال وزاراتهم ، فقد أبانت التجربة أن الوزير غير الملم بأعمال وزارته يكون العوبة فى يد كبار الموظفين على حين أن الوزير القدير المتسقيم أنشاعر بمسئوليته ، يسير سيرا رشيدا وينفث فى الموظفين العاملين معه ، النشاط والحيوية ؛ وروح الديموقراطية .

وايس الموظفين بأقل أهمية من الوزراء فى ادارة أداة الحكم ، ولهذا ينبغى أن يختاروا من ذوى الكفاية والخق والحزم ، والحياد السياسى ، ومن الاهمية بمكان الاهتمام بميولهم انديموقراطية . وذلك لقضاء على انبيروقراطية الحكومية ، فقد كابدت الشعوب العربية ، ولا يزال يعاني بعضها من عقية الموظفين المتعجرفة التى تشبه عقية رجل الصناعة ، ولا مفر اذا وجد تطهير فى حكومة عربية من تطهير أعمال هؤلاء الموظفين الذين يظهرون العداء للناس ، او يعمدون على عيوبهم .

نواب الامة

وايس بخاف ان النواب في الحكم انديموقراطى من اعمدته القوية ، وقد ذكرنا آتفا انسمات لعقاية والختقية اواجب ان يتسموا بها ، ولا بد قبل كل شىء ان يكونوا من ذوى المبادئ الديمقراطية والاراء المتحررة المتجددة ، فن انواب الجمدين . والتقيدين والمتشككين ؛ لا يفيدون البرلمانية ، بل قد يرجعونها التهقرى .

والمعروف ان اعمال النواب خطيرة ، فهم الذين يراقبون اعمال الساطة التنفيذية وهم حق اقتراح اقوانين وطب استيضاح سياسة الحكومة فى موضوع عثم ، وتوجيه الاسئلة والاستجوابات الى انوزراء وطب عدم الثقة باحسدهم وطب تعديل الدستور وغيرها من الحقوق البالغة اقصى الاهمية .

والى هذه احقوق ، عليهم واجبات كثيرة ، منها السعى الى ناخبهم ؛ وتعرف مايقولون وما يفكرون فيه والعمل على انصافهم اذا وقع عليهم حيف ، واهم من ذلك القيام باعمالهم البرلمانية فى كفاية وجهد وامانة .

وهذه احقوق الخطيرة ، والواجبات المهمة ، تجعل من الضرورى اشتراط توفر خبرة معينة فى النواب . كما يقول اكتب الجهاز هارود لاسكى فى كتابه السياسة ، واذا كان يشترط فى الاعمال الحرة كالمحاماة ؛ او اطب ، او الهندسة كفاية خاصة ؛ فمن باب أولى لا بد من توافر ميزات خاصة فى النائب من حيث الجدارة والكفاية فيكون حازا على الاقل على شهادة الثقافة ، فضلا عن اشتهاره بالمعرفة والحصافة ، والاطلاع اوسع .

واذا كانت بعض الولايات الامريكية تتطلب من الناخب قراءة الدستور وتفسير مواده ، فما اجدونا ونحن نتوق لديموقراطية متقدمة ان نطلب من النائب ادراكا اوسع ، وذكاء اعنى من مثل هذا الناخب .

ولزاما علينا تفادى اخطاء الماضى ، حيث كان يصل الرجل الى المجلس النيابية بقوة ماله او جاهه او نفوذ ابيه ، وليس من الصالح العام فى شىء ان يتولى النيابة غنى مثر لا شىء الا انه صاحب مال ، فما يغنى المال عن صاحبه شيئا فى مقام النيابة اذا اعززه العلم وقل نصيبه من الادراك (١) . بل انه من الخطورة بمكان ان يمثل الفنى اجهل او السياسى المحترف ويتنحى الرجل الكفاء الفاضل ، لعدم قدرته على الاتفاق فى تركية نفسه ، ونشر دعايته الانتخابية .

وكم يطيب لنا ان يضم المجلس كثيرا من المعلمين المتفتحين ؛ والاطباء النوايع ؛ والمهندسين اعماميين ؛ ورجال الفن والعلم ، وكوكبة من ممضى نقابات العمل على ان يكونوا من اكفا العمال . فقد ارسلت انجترا الى برلمانها فى عام ١٩٠٦ ، تسعة وعشرين ممثلا من العمال ، كما قدمت نقابات اعمال فى انجترا ابرز رجالها واذكاهم من امثال ماكدونالد وهندرسون وكينز ، وقد كانوا من اقدر الوزراء .

ويحق لنا ان نسجل ما اتخذته بعض الدول الديموقراطية من وسائل للتقليل من سلطان المال فى وصول كثير من الاغنياء الى مقاعد النيابة ، ومن بين هذه الوسائل اقرار مبدأ التصويت الجبرى فى بلاد مثل بيجيكا ؛ ورومانيا ، وبلغاريا ؛ والدنمرك . واسبانيا فى اول عهدها بالحياة النيابية ، وتشيكوسلافاكيا مع استثناء المرضى ، ومن بلغوا سن السبعين ، وقد سارت مصر على هذا المبدأ ؛ فأوجبت فى قانون الانتخاب رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ على كل مصرى وكل مصرية بلغ الثمانى عشرة سنة انتخاب اعضاء مجلس الامة .

ومن الوسائل الاخرى : تقليل نفقات الانتخاب ، وذلك بخفض امانة الترشيح ، وقد احسن الدستور المصرى يجعل امانة الترشيح ٥٠ جنيها بدلا من ١٥٠ جنيها ، وتقييد نفقات الانتخاب : وهذا

(١) من مقال للاستاذ الكبير مصطفى مرعى بعنوان « فى ميدان الانتخاب » ، نشر بمجلة اللواء الجديد .

ماسارت عليه بعض أنبلاد الديموقراطية . وكذا حظر نقل الناخبين في عربات المرشحين الخاصة ، وقيام بعض الدول بنقلهم الى أماكن الانتخاب ، وغيرها من الوسائل .

ويهمنا أخيرا أن نسجل حقيقة كبيرة ، ينبغي أن يعرفها المقدم على العمل أنيابي ، هي أن النيابة لم تعد مكانا تمباهاة ، أو المفاخرة أو الظهور ، بل هي متابة لعمل والدراسة الجادة والخدمة صادقة وان النائب لم يعد قبة يتجه إليها أفراد لقضاء مصالحهم الخاصة ولا مصدرا لتخويف أحد من رجال السلطة التنفيذية ، بل انه أصبح رجلا مسئولا ككل موظف في الدولة ، مسئولا عما أدى من أعمال عامة ، ولم يعد وقته مكا به بل ملك للدولة ، وان عليه أن تفرغ لاداء واجباته الجسام ، في تواضع وكفاية ونزاهة .

فقد حرم عليه بموجب المادة ٩٣ من الدستور المصري الجديد التدخل في الأعمال التي تكون من اختصاص السلطة التنفيذية أو القضائية ، وفرض عليه حضور جلسات المجلس ، وعدم الإخلال بواجباته . والا كن عرضة لاسدط عضويته . كما تقضى بذلك المادة ١٠٩ من الدستور سالف الذكر .

وأهم من هذا ، أنه زيدت مكافأته فأصبحت ٧٥ جنيه . وهذه المكافأة العدية ، التي لا يوجد نظيرها في أغلب بلاد العالم منظور فيها أنى أن النيابة في الديموقراطية المصرية الحديثة أصبحت عملا مستقلا ، وأن النائب يمكن أن يعيش بها دون حاجة إلى دخل خاص وقد أحسن المشرع المصري بزيادة المكافأة الى هذا القدر ، وبهذا سائر أحدث الآراء التقدمية في أماكن اعتمد النائب على المكافأة دون السعى وراء عمل آخر ، وانفاق جهوده فيه ، وهذا ما أدى به الكاتب الدستوري الجهر «روس» ، اذ طُلب في كتابه «التمثيل البرلماني» زيادة مكافأة النائب الإنجليزي من ستمائة جنيه في العام إلى ألف جنيه ، ليتمكن من المعيشة دون حرمان .

هيئات محلية ديموقراطية

ولبت النظام الديموقراطى في ربوع البلاد . واقامة حياة ديموقراطية وأنسة .. نرى من الواجب انحنى تكوين هيئات ادارية على أساس ديموقراطى في الاقائيم . تقوم بادارة المرافق

العامّة . واستحدثت المشروعات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والصحية . وتخول لهذه الهيئات استقلالها وتزويدها باختصاصات واسعة على أن تعاونها الحكومة المركزية بما يزمها من معاونات فنية وإدارية ومالية .

وقد اهتم الدستور المصرى الجديد بهذا النظام الديموقراطى وخصّبه بعشرة مواد . انطوت على تنظيم وحدات إدارية ذات شخصية معنوية . وتختص بأعمال متنوعة : اقتصادية واجتماعية وثقافية . وهذا النظام الديموقراطى انوسع سيقدر بقانون يوافق عليه مجلس الأمة .

ونحن نرى ، توطيدا للحياة الديموقراطية ، المبادرة بإصدار هذا القانون لانه رين من اراد ان الديموقراطية أمحيه . ونعد إنشاء هذه الوحدات بوسيع اختصاصاتها ، وتهيئه قراراتها . ضرورة قومية . . ونترقب منها اصلاحات شمه ، واعمالا نافعة في مختلف النواحي .

قوانين اصلاحية

وليس قانون الوحدات الادارية هو الواجب الاصدار فورا ، بل من الواجب اصدار القوانين الاخرى التى ص عنها الدستور مثل ونون حماية الملكية الزراعية اصغيرة ائدى اشارت ايه المادة ١٣ ، وقانون دعم الاسرة وحماية الامومه والطفولة الذى نصت عليه المادة ١٨ ، ونون تنظيم شئون التعاليم ائدى اشارت ائيه المادة ٥٠ ، وتنظيم العلاقات بين العمال واصحاب الاعمال ومراعاة قواعد العدالة الاجتماعية الذى ورد بالمادة ٥٤ ، وقانون اسفرت واعطائها حقوقا مواامة للتقدم العملى الذى نصت عليه المادة ٥٥ ، والقانون اخاض بطريقة استفتاء الشعب فى المسائل المهمة ائتى تتصل بمصالح البلاد العيما . والذى ورد ذكره بالمادة ١٤٥ ، والقوانين الخاصة بالادارة المحلية ائتى خصها الدستور بالمراد من ١٥٧ الى ١٦٦ .

هذه القوانين وغيرها من اقوانين ائتى تتناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتنظيمية للبلاد . . منها قوانين تشمل فواح جديدة لم يشملها قانون سابق ، ومنها قوانين موجودة ولكنها

الى تعديل وتوسيع ، ومن الواجب الدستورى على الحكومة التقدم بها كافة لانها من الدعامات الدستورية القوية، التى يزدهر فى وجودها الحياة الديموقراطية الحقيقية ، ولا يجوز لنا بعد اليوم ان نفعل ما كانت تفعله الحكومات السابقة من اغفال اصدار القوانين التى كان ينص عليها الدستور القديم ، واهملت اهمالا ..

ويهمنا بالدرجة الاولى الاهتمام بالتشريعات الاجتماعية الخاصة بالمعاشات لكبار الاسنان ، والعاجزين عن العمل . والمطلقات اللواتى لا عائل لهن . والمشردين ، والشبان المنحرفين .. والنظر الى تعديل بعض مواد قانون العقوبات . ونظم القضاء لتساير الفلسفة الديموقراطية الجديدة ، وادخال الخدمات الاجتماعية فى المسائل التى تحتاج الى بحث مفرد ، والتى تقضى الديموقراطية الحققة بالتفكير فيها تفكيرا جديا .

مقترحات دستورية

ومما نراه صالحا لديموقراطيتنا الجديدة تقصير مدة النيابة جعلها ثلاث سنوات أو الربع على الاكثر بدل خمس سنوات . . لان طول المدة تجعل النائب يتوانى فى الخدمة العامة . وقد تسول لبعض النواب استغلال نفوذه والمتاجرة بعضويته ، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان السيكولوجية العربية تميل بمزاجها الى التغيير .

وهذا الاتجاه الى تقصير مدة النيابة ، هو ما يميل اليه المفكرون المحدثون ، وهو ما تسير عليه بعض البلاد الديموقراطية فى الغرب ، وبعض البلاد العربية . فمدة عضوية النائب فى أمريكا سنتان .. ومدة عضوية النيابة فى سويسرة ثلاث سنوات ، ومدة النيابة فى افغانستان ثلاث سنوات ، وفى ايران سنتان ، وفى العراق اربع سنوات .

ومما نراه مفيدا تقليل عدد النواب الى الحد الذى يجعل المناقشة توتى ثمارها (١) وان يثبت عدد الاعضاء فلا يزيد أو

(١) آراء فى السياسة : هارولد لاسكى .

ينقص بالزيادة المطردة للسكان ، وذلك تخفيفا للاعباء المالية ، وقد قام بهذا التحديد بعض الدول الديموقراطية الراقية ونذكر منها السويد والنرويج والدنمرك ، وقد سار الدستور المصرى الجديد على هذا اترأى فحدد عدد الاعضاء بثلاثمائة وخمسين عضواً ، ونرى تنقيص ثلث هذا العدد بجعله ٢٢٣ عضواً ، يختارون من ذوى الكفاية والتجربة ، والافق الواسع .

ونرى كذلك اننا ما دمنا قد افينا المجلس الثانى واكتفينا بمجلس واحد ، ان تمثل الكفايات فى هذا المجلس ، من الذين لم يظفروا بالنجاح فى الانتخابات لاعتبار من الاعتبارات ، او من رجال الاقتصاد الاحرار ، او الذين تقضى المصلحة الوطنية العليا تمثيلهم من الممتازين من رجال الاقلية ، وفى العمل بهذا اترأى توكيد للوحدة ، وليس فى هذا بدعة ديموقراطية .. انما هو حل واقعى يتواءم مع اوضاع مصرية .

ولا يقل عما سلف اهمية امكان تعديل الدستور فى سر . ليتساق مع تطورات العصر ، وحقوق الشعب ، وما تتكشف التجربة الديموقراطية الجديدة عن فائدته . وهذا ما سارت عاياه بعض الامم الديموقراطية الجديدة .. وما نادى به كثير من المفكرين السياسيين الاحرار ونذكر منهم الكاتب الشهير هارولد لاسكى . نقول هذا لان مواد الدستور ليست مقدسة ، ولا هى ثمرة العبقرية وانما هى ثمرة الخلق القومى ، ومن الخير تيسير تعديله .

الاجراءات البرلمانية

ومن الامور البالغة الاهمية لتقدم النظام البرلمانى ، وسرعة اعماله ، الاهتمام باجراءات النظام بمجلس الامة . فقد انعقد اجماع المفكرين السياسيين على بطء الاداة البرلمانية وعدم احكامها . وفى ذلك يقول السير ستيفورد كريس : « اننا ننفق الساعات فيما لا طائل يذكر من ورائه . فطلبات التأجيل فى انجلترا تستغرق من وقت المجلس ثمانيا وستين ساعة ، على حين ان تشريع الخدمات الاجتماعية يستغرق منه خمسا وستين ساعة ، كما تأخذ الاسئلة البرلمانية من وقت المجلس (١٢١) ساعة .

والمعروف ان قدرا كبيرا من الزمن البرلمانى يضيع بلا ثمرة

في المناقشات البرلمانية ، لان بعض النواب يجدون في اطالة الحديث والنقاش . ازدهاء وغنما للصيت والشهرة . ومن الواجب ترك النقاش للاعضاء الاقوياء المبرزين ، والاشتراك في اللجان اشتراكا فعليا .

والرأى الحديث يميل الى تقييد حق النائب في الحديث ، والاكتفاء بنصف ساعة مثلا الا اذا رأى المجلس مد المدة . كما ينزع الى التصريح للنائب بالحديث مرتين على الاكثر ، كما هو الحال في انجلترا .. لاثلاث مرات كما كان عليه الحال في البرلمانات المصرية السابقة .

والذى يتصفح اللوائح الداخلية للمجالس المصرية السابقة ، يجد بها مواد مؤدية لبطء العمل البرلمانى ، ومن ذلك اباحة المداولة الثانية في مشروعات القوانين ، ومن الخير اخذ الرأى على المبدأ ثم اجراء مداوله واحده ، وكذا عدم اجازة العودة الى المناقشة في مسألة اخذ عليها الرأى ، وقد لمس المتبعون للاعمال البرلمانية السابقة آثار البطء في قانون الوقف مثلا الذى عرض على مجلس الشيوخ ، والجلسات الكثيرة التى استغرقتها مناقشته ، والعودة ثانية الى المناقشة في مواد انتهت المناقشة فيها .

وليس نظام المداولة الواحدة بدعا ، بل ان بعض الدول مثل فرنسا وانجلترا قد اخذت بها ، ونرى من الخير الاخذ بهذه الطريقة في المجلس القادم .

ومما يراه المفكرون السياسيون ايضا اضاعة وقت المجالس النيابية في الرد على الاسئلة الموجهة للوزراء ، وقد تكون هذه الاسئلة لا جدوى منها للمصلحة العامة ، وقد تكون ضارة بها ، ولهذا يرون احالة الاسئلة الى اللجان البرلمانية المختصة للرد عليها ، ليتوفر للمجلس وقت ثمين يمكن انفاقه في اعمال مجدية .

وما نراه صائحا لسير العمل البرلمانى وتقدمه ، التقليل من عدد اعضاء اللجان البرلمانية ، ففي المجالس السابقة كان عدد الاعضاء في اغلب اللجان يربى على العشرين عضوا ، ومن الخير قصره على خمسة عشر عضوا مثلا ، وان لا يباح الانضمام اليها الا لكل من يأتى في نفسه القدرة والكفاية على العمل ، ومن الخير

أيضا تقصير المدة لتقديم تقارير هذه اللجان ، وإيجاد لجان جديدة لم تكن موجودة كأيجاد لجنة للثروة الإلهية وما شاكلها من اللجان .

وأهم مما تقدم اتباع نظام اليوم الكامل في العمل البرلماني ، بأن يعمل المجلس صباحا وبعد الظهر كالمتبع في إنجلترا ، فإذا كان هذا متعذرا فيمكن اتباعه عند نظر الميزانية ، ويمكن للجان البرلمانية العمل يومين أو ثلاثة متوالية على نظام اليوم الكامل .

وعلى مثل هذه الإجراءات ومثيلاتها ، التي أطلنا الوقفة عندها، تنشط أعمال المجلس ؛ ويكثر إنتاجه ، ويسير في رسائله سيرا حازما رشيدا .

الظلم العربي الحاضر

ولئن كنا قد قصرنا القول على الديموقراطية المصرية فذلك لان تشريعاتها الدستورية والقانونية قريبة التناول منا ، وهي في قومتها الديموقراطية الحاضرة تسير نحو ديموقراطية سليمة ، بعد ان ازيلت العوائق الكأداء التي كانت تحول دون تقدمها الديموقراطي، وعلى رأسها : الاستعمار؛ والرأسمالية الزراعية ؛ والرأسمالية الاحتكارية ، والاحزاب وبخاصة أحزاب الاقلية التي كانت تلوذ الى وسائل فاجرة للوصول الى الحكم .

وهي اذ تسير في طريقها الديموقراطي الجديد ، تجد الى جانبها حكومات عربية ، ولها تقائسها الطيبة ، ودستورها العصري الذي انطوى على أحدث مبادئ الحرية ، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمواطن العربي .

وليس الروح الديموقراطي الشعبي في لبنان والعراق والأردن؛ اقل حيوية وحدة من الروح الديموقراطي في الجمهورية العربية المتحدة. وإذا حالت حوائل في بعض هذه البلاد دون منسأة الأحكام هذا الروح مع الشعوب ، فإنها حوائل سوف تزول في القريب العاجل أو الأجل ، لان فكرة الحكم الديموقراطي تجوب كل بلد عربي ؛ وهي فكرة أصيلة . تستمد جذورها من التقاليد العربية الصالحة ومن انتيسار الديموقراطي العصري الجارف ؛ الذي ينطوى على

السيادة الشعبية ، وعلى خضوع الحاكم لحكم القانون العام والدستور .

ومحاولة الحكام في هذه البلاد العربية ، مجافاة الروح الديموقراطية ؛ والتنكر لمبادئ الحرية ، محاولة خائبة عابثة .
فالفكرة الديموقراطية صارت جزءاً لا يتجزأ من روح الامم العربية ، وسوف تنقشع السحب الكدراء التي تشوب وجه الديموقراطية العربية النبيل .

فالشعوب العربية التي دانت بمبدأ الشورى من قرون وقرون ، لا يقر لها قرار حتى تصل الى حكم صالح لا يكون فيه الحاكم فوق القانون ، وهو حكم الشورى الذي وضع أساسه الوليد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وبسط القول فيه فلاسفة العرب ، من أمثال الفارابي في مدينته الفاضلة ، والرازي في آرائه عن سيادة الشعب ، والماوردي في كتابه «الاحكام السلطانية» عن سمات الحاكم ، وتحدث عنه في العصور الحديثة أمثال الكواكبي ، وجمال الدين الافغانى ، وشبلى شميل ، واديب اسحق ، ومن السياسة أمثال مصطفى كامل وسعد زغلول ، ومن رجال الدين أمثال محمد عبده ورشيد رضا ، وغيرهم من الفلاسفة والساسة ، ورجال الدين الفاضلين .

ونحن لا يهمنا سير الحكومات العربية على نظام ديموقراطى متماثل ، بل ان لكل بلد ان يختار النظام الذى يتفق مع تقاليده الصالحة وثقافته ، ودرجة تقدمه . او بمعنى آخر لا يهمنا نوعية الحكم بقدر ما يهمنا صفته ، ونزوعه الى خير الشعب ؛ والعمل على تحقيق مصالحه ، يهمنا بالدرجة الاولى وجود حكومات عربية شعبية قوية رشيدة ، تتسم بالعدالة والنزاهة والكفاية في ادارة دفقة شئون البلاد والتفانى في العمل على اسعادها ورقايتها .

نقول هذا مؤكدين ان قوة الحكم العربي وعدالته ونفاذه ،
ليس اساسا وطيدا فقط لاهداف القومية العربية التي ينادى
بها الكافة ، بل انه سيكون نقطة تحول جذري في تقدم الشعوب
العربية ؛ ووقى طبقاتها الكادحة العاملة في ظل سياسة اشتراكية ،
يكون للحكومات العربية في البداية زمام التوجيه والترشييد
والقيادة .

والايدولوجية التي ترسم خطوطها ، لا تقوم على الوعي
الديموقراطي السياسى فحسب ، بل على الوعي الاشتراكى الذى
يشترك فيه الحاكم والمحكوم في اعلاء مستوى المعيشة وتخفيف
التفاوت في الدخول وهو الركن الثالث للايدولوجية الجديدة ،
ونفصل الحديث عنه باختصار في الصفحات التالية .

الاشتراكية الموجهة

- ١ -

في ظلال الوعي الديمقراطي يتحرر الناس من الخوف ، وينزعون الى الاصاله والحق ، ولا يد ان يقترون هذا الوعي بوعي اخر هو وجوب التحرر من العوز والفقر .

ولا يتأتى هذا الا بتغيير العقاية الساكنة ، وتوجيهها الاتجاه العلمى الصادق ، والى وسائل المعرفة المادية . وفي رحاب هذا الاتجاه يزدهر الكيان الاقتصادى والاجتماعى ، كما سبق ان ذكرنا في حوافز التقدم الصناعى فى أوروبا فى منتصف القرن الثامن عشر . ولن يتحقق أى تقدم عربى ما لم تشجع النظرة العلمية التجريبية فى السيطرة على المادة ، وعلى موارد الطبيعة بما تزخر من ثروات دفينه (١) .

فقد مضى على الشرق العربى ، بعد حضارته الزاهية فى القرون الوسطى ، سبعة قرون طوال ، توارثت فيها عليها كوكبة من الحكام المترفين الطفافة . قتلت فيه روح الحرية والابداع . وتوالى عليه غزاة انتهبوا موارده ، ووأفاه الاستعمار الاوروبى الحديث فامتص تروته وبخع روحه المعنوى ، فأوجد انفوارف البعيذة فى الدخول بين طبقاته ، وأشاع هذه جميعا بين أبناء العروبة نزعة الرضا والتقنساء باندون ، والركون الى الخمول والعكوف على القدرية والصوفية السلبية المقيتة .

وهو اذ يتيقظ اليوم من سباته العميق ، يتطلع الى قيادة شعبية قوية والشدة واسعة الافق ، ترفع عنه اكفان الماضى ، وتذيب رواسب الذلة والمسكنة والجهالة التى تغلفت فى كيانه ، قيادة تدفعه دفعا الى نور العلم والى العمل الجاد المنتج ، والى ترك الدعة والى الوعي بالآزمن ، لينال حظه من السعادة والرفاهية .

وتتركز هذه القيادة بالدرجة الاولى فى الحكومات القسوية الناهضة بل فى الحكومات الشائرة ، التى تبدأ الخطوات الاولى فى

(٤) الدخل القومى والتطور الاقتصادى - للدكتور حسين عمر
ص ١١٥ - ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .

تثقيفه، تثقيفا نظريا وعمليا؛ وإيجاد نظام اقتصادى اشتراكى يغير العقلية الجامدة الساكنة؛ ويحولها الى عقلية فاقهة منظمة .
وأهم هذه الخطوات التقدمية هي العمل على تصنيع البلاد العربية ، وتخفيف حدة التفاوت الكبير بين دخول الافراد ، ونشر الخدمات الاجتماعية في أرجاء الشرق العربى .

وهذه الاهداف الثلاثة تتطلب ثورة من أعلى كما يقولون ، ثورة عاملة بيضاء ، ترسم الخطط العامة لزيادة الدخل القومى فى كل بلد عربى ، بإقامة الصناعات الثقيلة والخفيفة ، وتضع التشريعات الحازمة للتخفيف من حدة الفوارق فى الدخل ، بوضع الضرائب التصاعدية العالية على ذوى الدخل الكبيرة ، وتعهدها المواطن بالرعاية من المهد إلى المجد .

- ٢ -

والاشتراكية الحكومية التى ندعو اليها ، هي اشتراكية تتفق مع وضعية البلاد العربية ، اشتراكية لا تعتمد التأميم الشامل ، ولا ترضى بنشوب حرب طبقية ، ولكنها تلوذ الى إيجاد التعاون بين جميع الطبقات بالطريق السلمى ، وتهيب الى التضامن الاجتماعى بفضل المبادئ الروحية الاصيلية فى شرقنا العربى ، وبفضل الروح الديموقراطية الذى ينشد الحرية الانسانية والاقتصادية ، وينافح عن كرامة الانسان ، ومساواته باخيه الانسان ، والحرية فى ظل الاشتراكية هي حرية مقيدة من أجل الصالح العام ، والمساواة ليست مقصورة على الحقوق المدنية والقانونية ، بل المساواة فى الفرص المادية ، بحصول المواطن على قدر كاف من لوازمه لاشباع حاجاته الاولى من طعام وغذاء وكساء ، وتكافؤ المواطنين فى تهذيب شخصياتهم ، لا التكافؤ فى خدمة الدولة وطاعتها العمياء .

ويكمن وراء هذه الاشتراكية العنصران الروحى والديموقراطى كما ذكرنا ، فيجد فيها الفقير فرصته ، وتزول من نفسه روح الحقد والحسد على أخيه الغنى . وتذوب فيها من العامل كراهيته ، اذ يشعر بعدم استغلاله وبكرامته ، وتسود فيها بين المثقف ، ومن لم ينل حظا من التعليم ، روح الاخاء والالفة والزمالة .

وهذه هي المثل النبيلة التى تهب الوجود العربى قيمته ، والتى تحدد صفة المجتمع الاشتراكى الذى نصبو الى ترسيم كيانه ، ونرى أن أول وأهم ما يجب التفكير فيه هو وضع منهاج اقتصادى زراعى وتجارى تبدأ الحكومات العربية بوضعه وتبادر بتنفيذه .

الاقتصاد الموجه

- ١ -

وأول ما يجب المبادرة به ، هو قيام الحكومات العربية بالصناعات المهمة التي تتوفر فيها خاماتها ، أو التي يمكن استيراد خاماتها دون تكاليف كبيرة ، فالصناعة أفضل ميدان خصبة لزيادة الدخل القومي (١) .

وتقوم الحكومات بالصناعات الناجحة الكبيرة التي لا يستطيع الأفراد القيام بها ، وليس هذا نوع من رأسمالية الدولة . كما قد يجري في الوهم . إنما هو سبيل لتسهيل التصنيع والتنمية الاقتصادية العامة ، وأثر كيزة القوية للتقدم . وقد كانت هذه هي الطريقة التي اختطتها الحكومة اليابانية قبل حرب ١٩١٤ ، وبلغت بها درجة مذهشة في الصناعة ، فلم تقتصر على التوجيه على نطاق واسع . بل كانت مستثمرة ومنظمة للصناعات (٢) .

ولزام على الحكومات العربية التوجه الى هذا الاستثمار المادي أولاً وقبل كل شيء ، لا التوسع في المرافق العامة من مثل وسائل النقل والمواصلات ، وموارد المياه والقوى الكهربائية . وإن كانت هذه المرافق هي من عوامل الاستثمار الضرورية ، ويكن الذي يخشى منه امتصاص هذه المرافق قدراً كبيراً من رأس المال وبخاصة إذا تميزت هذه الانشاءات المرفقية بالضخامة وعظمة البناء وروعته (٣) .

(١) التفاوت في الدخل - للدكتور ألبرت عشم عبد المك .

ص ٤٢٨ - الطبعة الاولى ١٩٥٣ - دار الفكر العربي .

(٢) الدخل القومي والتطور الاقتصادي - الدكتور حسين

عمر ص ١٥١ - الطبعة الاولى ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .

(٣) الدخل القومي والتطور الاقتصادي - الدكتور حسين

عمر ص ٢٣٣ .

ومما لا خلاف عليه أن دعامة منهاج التصنيع هو تمهيد عوامل الإنتاج ، وتيسير القوة العاملة لمشروعات الاستثمار وأصلـالـ وسائل المواصلات وإنشاء الطرق الجديدة ، ونشر المعرفة الفنية لأن هذه العوامل بمثابة الشرارة لاشعال نار الفعالية الاقتصادية (١)

ولكن هذه الانشاءات مع أهميتها ، يازم أن تكون قليلة التكاليف ، وليست بالانشاءات الخائذة الباهظة التكاليف وما تحتاجه الدول المتخلفة هو الانشاءات العديدة البسيطة المنشرة في أنحاء البلاد ، وليست الانشاءات الثقيلة الضخمة التي تتركز في العواصم (٢) .

— ٢ —

وهذه الاشتراكية - التي نراها واجبة في المرحلة الأولى للتقدم الصناعي - لا تحتم قيام الدول العربية بجميع عمليات الإنتاج بنفسها بل لها الاشتراك مع الافراد والشركات في ايجاد لصناعات الأخرى اللازمة لتقدمها ، على أن يفضل الاشتراك مع الوطنيين . وهذا الاشتراك تدعو اليه حالة البلاد العربية لماية التي يعوزها رأس المال أعينى او النقدى ، ويعوز موظفوها الخبرة الفنية العالية . على أن تكون هذه المشاركة في الأعمال الإنتاجية او الاستهلاكية الحيوية التي تهم الشعوب بالدرجة الأولى .

وقد سارت بعض الدول العربية شوطاً مبشراً بالخير في هذا السبيل . ومن ذلك قيام حكومتنا ، بإنشاء مصنع الحديد والصلب بحدادوان ، تؤخذ خاماته من أسوان ، وتعاقدت مع شركة ديماج الألمانية على اقامته ، وتأنفت شركة مساهمة لهذا الغرض اشتركت فيها الحكومة ، ومجلس الإنتاج القومى ، وبنك مصر والبنك الصناعى وشركة مصر للغزل والنسيج وشركة ديماج (٣)

(١) أساسات التنمية الاقتصادية - للأستاذ يونس صالح الحريشى ص ٥٧، ٥٦ - ١٩٥٦

دار انعام للملايين - بيروت

(٢) الدخل القومى - للدكتور حسين عمر ص ٢٢٣

(٣) الدخل القومى - للدكتور حسين عمر ص ٢٦٩

وأما هذه المؤسسات التي تساهم الحكومات العربية أو المؤسسات ضروري من أجل تطوير اقتصادنا القومي (١) ، ويلاحظ أنه من الواجب المساهمة في جملة صناعات كبيرة متصلة لإيجاد النمو المتوازن (٢) فإذا استخرجنا الحديد من أسوان أو من الواحات البحرية التي توجد فيها كميات منه فلا مفر من استخدام القوى المائية للاستعاضة بها عن الفحم الذي لا يوجد بالأقليم الجنوبي، وذلك من مساقط أسوان وأسنا والقناطر الخيرية ، واندفاع التيار في مجرى النيل - وبهاتين القوتين : الحديد والكهرباء ، يمكن إيجاد الصناعات الثقيلة التي يفتقر إليها الأقليم الجنوبي .

— ٣ —

وإذا كانت الضرورة تقتضي على بعض الدول العربية تشجيع رأس المال الاجنبي ، لقلة الدخول القومية ، فالأمل كبير في التخفيف من هذه الضرورة ، بتشجيع المدخرات لدى المواطنين ، والحصول على الاموال الوفيرة لدى الأقلية من أصحاب الثروات في البلاد العربية التي تحتكره في خزائنها أو تبده على رفاهيتها واشباع شهواتها ، أو تنفقه في الاستهلاك الكمال . ولا ينتفع به في الانتاج القومي (٣) - وكذا باستخدام رؤوس الاموال المقدسة في البنوك لصالح المشروعات الانتاجية بشكل عام والصناعة بشكل خاص (٤)

وليس شك في أن تعاون الدول العربية تعاوناً اقتصادياً صادقاً وعلى أساس المساواة وتبادل المنفعة ، سوف يقضي على دخول رأس مال الاجنبي ، وعلى تقليص اظفار الرأسمالية الاحتكارية الاجنبية في البلاد العربية ، وقد بدت أمارات هذا التعاون في

(١) تطور الحركة الوطنية المصرية للاستاذ شهابي الشافعي ص ٢٣ - ١٩٥٧

(٢) الدخل القومي ، للدكتور حسين عمر ص ١٤٩

(٣) واقع العالم العربي - للدكتور جورج حنا ص ٣٢ ، ٣٨

١٩٥٤ دار العلم للملايين - بيروت

(٤) تطور الحركة الوطنية المصرية - للاستاذ شهابي الشافعي

ص ١٤١ .

المؤتمر الاقتصادي الذي عقده وزراء المالية العرب عام ١٩٥٣ .
واقترح فيه إنشاء بنك عربي للتنمية الاقتصادية بين الدول المنتجة
للبنترول وغيرها من الدول الأخرى ، ويقوم البنك بإعطاء قروض
للحكومات أو لمؤسسات التنمية الاقتصادية ، وتضمن الاقتراح
جعل رأس مال البنك مائتي مليون جنيه مصري ؛ ولا ندرى مال
هذا الاقتراح . ولكن المؤتمر وصل الى اتفاقين مهمين هما تخفيض
الرسوم الجمركية ، وتسهيل عمليات الدفع ، كما أوصى بإنشاء
منظمة اقتصادية للشرق الأدنى ؛ وتأسيس شركة عربية للملاحة (١)

وهذا الاتجاه العربي القومي بشارة خير ، نرجو أن تسير
الحكومات العربية شوطا بعيدا فيه ، لتوثيق الروابط الاقتصادية،
وزيادة التنمية الاقتصادية .

— ٤ —

واذا كان من واجب الحكومات العربية الاشتراكية تأمين
المرافق العامة كالمواصلات ، والأضواء ، ومياه الشرب ، والتليفونات
والتلفارات ؛ فإن الإبقاء على المشروعات الانتاجية والاستهلاكية
الخاصة ، من الخير العام ، بل أن تشجيع الصناعات الناشئة
من أوجب الواجبات ؛ على شرط أن يكون لها حق الرقابة
والإشراف عليها ؛ واتخاذ الاجراءات للاحتفاظ بالعمل بالعمل
المستمر ، وإيجاد أشكال حديثة لتحكيم بين نقابات واصحاب
العمل ، ورفع أجورهم ؛ وتوفير الخدمات الاجتماعية لهم . والمتبع
للاستثمارات الفردية في بلد كبلدنا يجسد أنها بلغت ٦٢ مليونا من
الجنيهات في عام ١٩٥٥ ؛ وهذه الاستثمارات وإن كانت قليلة ،
ولا تزيد الدخل القومي إلا بنسبة ضئيلة (٢) إلا أنه من الواجب
حمايتها ، والعمل على زيادتها ، وبث روح الثقة في نفوس الممولين ؛
كي يخوضوا الميدان الصناعي .

(١) تطور اقتصاديات الشرق العربي ، للاستاذ يونس صالح
الحريشي ص ٩ و ١٠

(٢) تطور الحركة الوطنية المصرية ، للاستاذ شهدى الشافعى
ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ولا يقتصر عمل الحكومات عند هذا الحد ، بل لا مفر من توجيه هذه الاستثمارات ، فالملاحظ أن أغلب الاستثمارات موجهة للبناء ، دون الصناعات ؛ وأن النسبة الكبرى من المباني المقامة في الإقليم الجنوبي هي من النوع الذى يسكنه المترفون وأصحاب الدخول الكبيرة ، ومن الخير توجيهها إلى الأغراض الانتاجية الصناعية أو زراعية (١) .

ومن الواجب أيضا أن تكون الصناعات من النوع الذى يحتاجه الجمهور ، لا من الصناعات الكمالية التى لاتفيد الجماهرة ، ولا ينال أعامل من ورائها إلا التعب والاجهاد

ولا يقف عمل الحكومات عند هذا . بل لها أن تهيمن على توزيع المنتجات وإيجاد رابطة بين الانتاج والاستهلاك ، ووضع سعر معقول لحماية المستهلك ، وزيادة قوته الشرائية . ويرى جورج سول أن من الخير تخفيض أسعار المصنوعات وأثمان الأغذية والأحوم ليتمكن المستهلك الحصول عليها وتزايدها طلبها وبهذا يزداد إيراد التاجر الذى يؤثر زيادة الطلب مع الربح القليل على فلة الطب مع الربح الكثير

وفضلا عن ذلك فالحكومات رقابة الاحتكارات الخاصة التى تعيس فى جنباتها وتمتص دماء ابنائها ، رقابة قانونية فعالة أو تقوم بإدارة بعضها كما فعلت حكومتنا فى بدء الثورة بإدارة شركة السكر الاحتكارية ، وكذا شركة الملح والصودا (٢) .

وتلجأ بعض الحكومات فى بعض الأحيان إلى أخذ أرباح مثل هذه الشركات الاحتكارية بعد استيلاء أصحاب الأسهم على فوائدهم . وهذا ما فعلته السويد مع شركات الخمر .

وليس هناك حد يمكن أن تقف عنده الحكومات لتدخل من أجل زيادة الانتاج ، وللصالح العام ، وسلطان الحكومات فى العصر الحديث أخذه فى الاتساع (٣) .

(١) المرجع السابق ص ٢٢٤ .

(٢) تطور الحركة الوطنية للاستاذ شهدى الشافعى .

(٣) يراجع كتاب « العدالة الاجتماعية » للاستاذ صالح

ميخائيل . ص ٩٨ - ١٩٤٦ مكتبة النهضة المصرية .

التقدم الزراعى

واذا كنا أطلنا الوقوف عند الاقتصاد الصناعى ، وتوجيهه ، والعمل على زيادة المنتوجات الصناعية ، فلأنه حجر الزاوية فى التقدم العربى فى الوقت الحاضر ، ولأنه يؤدى بلا ريب الى خلق عقليات جديدة منظمة ، وشخصيات تقدر اثر من ، ولأنه العامل الفعال فى رفع مستوى المعيشة فى الاقطار العربية ، ولا بد أن يكون له الاسبقية فى أى برنامج للتنمية ، وان لم يكن له مبررات أخرى ، فالتخاض من الفائض من السكان الزراعيين فى بلد كالأقليم الجنسوى (١)

فلم يعد الزراعة فى بلد كالجمهورية العربية المتحدة تكفل العيش للزراع . ومع هذا فلا يجوز أن تغفل مثل الجمهورية ، والبلاد العربية الأخرى ، الاهتمام بالتنمية الزراعية ، بالعمل على زيادة رقعة الأرض لزراعة ، وتنويع المحصولات الزراعية ، وتشجيع الزراعات المكسبة منها ، مثل البطاطس والفاصوليا واللوبيا والبسلة والسكران والخروع ، بل تجريب زراعات لم يهتم بها لان مثل فول الصويا وهو ذو فائدة فى تغذية الماشية ، وبه كمية كبيرة من الزيت وزراعة مثل هذه المحصولات أجدى من زراعة المحصولات التقليدية مثل القطن فى الاقليم الجنوبى والشعير فى العراق ، والحبوب فى الاقليم الشمالى .

ولا مفر من تدخل الحكومات العربية فى انتخفيف من سوء توزيع الملكية الزراعية ، اما بتحديد ملكية كبار الملاك ، أو وضع ضريبة تصاعدية عالية على الملكية التى تزيد الى قدر معين كمانه فدان مثلا ، بحيث يصبح التملك فوق هذا القدر غير مجد للمالك (١) وقد بدأت مصر خطوة جريئة فى تحديد الملكية الزراعية بطائى فدان ، والأرض المستولى عليها تقرب من ٣٥٥ ألف فدان أى بنسبة ٦ ٪ من الاطيان المزروعة ووزع أكثرها ، وسيوزع الباقي على صغار المزارعين ، وقد سار الاقليم الشمالى على توزيع الاراضى الحكومية على صغار المزارعين ، ولا يزال الاقطاع الكبير

(١) الدخل القومى - للدكتور حسين عمر ص ٢٣٩ .

(١) بحث للاستاذ أحمد حسين - خاص برفع مستوى معيشة

الفلاح المصرى ١٨ - ٤ - ١٩٤٥

يسيطر لى بعض البلاد العربية وعلى رأسها العراق .

والملحوظ ان نسبة الضريبة على الاطيان منخفضة ، وان كانت ترتفع نسبيا في الاقليم الشمالى عما هي في باقي البلاد العربية الاخرى (١) .

وتقتضى العدالة النظر في رفع الضريبة نوعا وزيادة معدلاتها على من يملكون اكثر من مائة فدان مثلا ، وذلك للتخفيف من التفاوت البعيد في دخول الافراد ، وزيادة الضريبة على الشركات الكبيرة لتصحيح توزيع الملكية وهذه هي روح الاشتراكية ، وهى وان اعتبرت تضحية فهى تضحية من أهون التضحيات

تشريعات زراعية مهمة

وتبقى هناك مسائل على جانب من الاهمية لرفع مستوى الزراعة ، واصلاح حالهم ، بالعمل على ابقاء الزارع بأرضه الطيبة التى عاش لها وعليها .

١ - ومن هذه التشريعات منع الشركات الصناعية أو التجارية من تملك الاراضى الزراعية ، على ان يقصر هذا المنع على بلاد الريف ، وهذا ماساوت عليه طائفة من البلاد المتقدمة ونذكر منها : روسيا والمانيا وتركيا ورومانيا والولايات المتحدة واليابان والسويد ، وفي هذه الاخيرة نجد ٩٥٪ من الاراضى الزراعية في يد الريفيين

٢ - قصر المساحة المؤجرة على رب الاسرة ، واعطاؤه قسدا من الافدنة لايزيد عن العشرة أو الاثنى عشر فدانا ، وذلك لمنع المتاجرة في استثمار الارض ، وعلى نطاق واسع ، وحرمان الزراع الاصليين منها ؛ وهذا رأى جدير بالاهتمام ، وقد أدلى به المسيو مارسيل جانفيس في محاضرة له بجمعية التشريع والاقتصاد (١)

(١) يراجع تقرير الامم المتحدة لادارة الشؤون الاقتصادية .

(٢) التفاوت في الدخول للدكتور البرت عشم ص ٣٥٢ ، ٣٦٤

(٣) محاضرة بجمعية التشريع والاقتصاد - نوفمبر سنة ١٩٤٣

عنوانها « المشكلات الريفية بين الملك والمستأجرين » .

٣ - تحديد الايجار بنسبة ضريبة الارض، بسبعة أمثال الضريبة أو ثمانية أمثالها حسب جودة الأرض . وهذا سار عليه الاقليم الجنوبي اذ حدد قيمة الايجار بسبعة أمثال الضريبة .

٤ - جعل الحد الأدنى لمدة الايجار ثلاث سنوات ، وتجديد المدة مادام المستأجر قائما بخدمة الأرض ، ودفع الايجار ، وهذا يسير عليه الاقليم الجنوبي فعلا

٥ - منع تجزئة الملكية حتى الملكيات الموروثة ، وتحديد أقل قدر بثلاثة أو أربعة أفدنة مثلا .

٦ - وأهم من هذا كله وضع تشريع جديد لايجاد نظام للمزرعة التعاونية وتقديم جميع التسهيلات لمشاركين في المزرعة من آلات وسماد وبدور بثمان معتدلة . وكذا تدريبهم على الصناعات الزراعية التي تزيد زيادة بارزة في دخل المزرعة .

ولا يفوتنا في هذا الصدد التنويه بالعنصرية بالصناعات الزراعية والمنزلية بالقرى وبالاخص صناعة النسيج ، ومستخرجات الابلان، وصناعة السجاد والكليم ، والعسل الاسود ، والحريز ، وقيام النساء الى جانب الرجال بعمل هذه الصناعات ، وقد ثبت أن القرى التي يقوم رجالها ونساؤها في مصر بمثل هذه الاعمال . يرتفع مستوى معيشتهم ويزداد أجور عمالهم . ففي قرية كرداسة (بامباية) وبها مايقرب من ألفى نول للنسيج ، يصل دخل الاسرة الى أكثر من ثمانية جنيهات في الشهر ، وفي فوه التي تصنع السجاد والكليم : يصل أجر العامل هناك خمسة وعشرين قرشا في اليوم (١) .

ولسنا بحاجة الى تأكيد أن الصناعات الزراعية والمنزلية بالريف لا تساعد مساعدة فعالة على رفع مستوى الريفى فقط ، بل تؤهل للثقافة الصناعية الكبيرة ، ومن الواجب إنشاء وحدات للتدريب الصناعى والزراعى فى القرى ، لانها كما يقول الدكتور شكرى المراغى ، نقط الارتكاز للزحف بالصناعات الموجودة الى

(١) محاضرة للدكتور شكرى المراغى بالجامعة الامريكية في

١٩٤٧/٢/١٥

الائتمام ، وهي نظام معمول به في أمريكا ومعمول به في الصين
لتدريب الناشئة على مختلف الصناعات اليدوية (١)

وإذا كان الامل وثيقا في وجود وحدة اقتصادية بين أبناء
العروبة في القريب ، فانه من المتعين إيجاد تعاون صادق في بدل
المنتجات العربية والمواد الخام اللازمة للصناعة ، ومواد التغذية،
والعمل على تنسيق صادرات كل بلد عربي وإيجاد نظم موحد
عند التصدير الى ابلاد الاجنبية أو الاستيراد منها ، ويبدو هذا
التعاون حتميا في هذه الآونة التي تعمل فيها الدول الأجنبية
على محاصرة بعض البلاد العربية المتحررة اقتصاديا ، وآية ذلك
كما حدث « منذ خمس سنوات » محاصرة أمريكا لسوريا قبل
الوحدة في بيع الفأض من قمحها محاصرة نازلة ،
وطبت إيطاليا ٣٠ ألف طن من قمح سوريا فعرض
التجار السوريون تقديمها بسعر ١.٥ دولار لطن ، إلا أن
أمريكا تقدمت في المناقصة ورست عليها بسعر ١.٣ دولارات
وكسور ، كما طلبت اليونان عشرة آلاف طن من القمح عرضها
التجار السوريون بسعر ٩٨ دولار وباعها الأمريكيون بأقل (٢) .
ولما لمست مصر هذه المحاولات الأمريكية لمحاربة اقتصاد سوريا،
تقدمت لشراء فأض قمح سوريا لمدة عشر سنوات ، وبهذا قضت
على هذه المحاصرة المقيتة . « كان هذا قبل الوحدة أي قبل ١٩٥٨ »
ومن هذا المثال اتضح ، يتجلى أن تعاون البلاد العربية في
تبادل منتجاتها هو هدف قومي جليل ، وعامل من عوامل توسيع
السوق العربية الداخلية ، وتعديل ميزانها التجاري .

ويسرنا أن نسجل أن المجلس الاقتصادي الأعلى لجامعة الدول
العربية في دورته الرابعة التي عقدت يوم ٢٥ مايو ١٩٥٧ أقر
حرية تبادل المنتجات الوطنية ، وحرية انتقال الأشخاص ، وحرية
الإقامة ، وحرية ممارسة الاستثمار ، كما وافق على مشروع إنشاء
مؤسسة مالية لتنمية الاقتصادية برأس مال قدره عشرون مليوناً

(٢) محاضرة الدكتور شكري المرافي بعنوان أوقات الفراغ
ومكافحة الأمية الاقتصادية . الطبعة الثانية ص ٣٨
(٢) تصريح وزير زراعة سوريا في ١٠ مايو ١٩٥٧

من الجنيحات ، وافر المجلس التوصيات الخاصة بشئون البترول .
تقرر تشاور الحكومات العربية في تنسيق مشروعات التكرير ، وتوزيع
منتوجاتها وتكوين اسطول موحد من الناقلات لنقل البترول العربي لتموين
البلاد العربية ، كما وافق على مشروعات اقتصادية اخرى مهمة
مثل مشروع انشاء شركة لملاحة العربية ، وانشاء شركة
عربية لطيران (١) .

وهذه خطوات رائدة في طريق التنمية الصناعية والتجارية ،
نرجو ان تطرد ، وان تبادر الدول العربية الى تنفيذ المقترحات
آغبة الذكر .

(١) تراجع جريدة البعث في ٦/٧/٦٥ العدد ٥٧

رفع مستوى المعيشة

ومع هذا انتقدم النسبي في الاقتصاد الصناعي والزراعي والتجاري فلا يزال مستوى المعيشة في البلاد العربية منخفضا . وقد أثبتنا فيما تقدم ، أن هذا الانخفاض راجع الى قلة الانتاج الصناعي . وقلة رقعة الارض المزروعة ، وإلى اتفلات الواسع في الدخول بين الافراد ، وقد فصلنا القول في طرائق زيادة التقدم الصناعي ، والزراعي ، وإلى العمل على زيادة المساحات المزروعة ، كما فصلنا اتفلات في طرائق التبادل التجاري ، والعمل على زيادة الصادرات ، وذكرنا في اتخفيف من اتفلات في الدخول : زيادة الضريبة على الاطيان وعلى الشركات .

ونضيف الى ماتقدم وجوب النظر في زيادة ضريبة الدخل . وقد ادخل الاقليم الشامي ضرائب الدخل التصاعدية . ولكنها محدودة الاهمية (١) ورفعت حكومة الثورة ضمت الضريبة على اندخول الكبيرة ، حتى بلغت ٨٠٪ من الدخل ويلاحظ أن حد الاعفاء في ضريبة الدخل مرتفع ، فانذى يصل دخله الف جنيه في العام لا يدفع ، مع أن متوسط الدخل في بلدنا لا يزيد في العام على اربعين جنيها على أكبر تقدير - ومن الخير وضع ضريبة بسيطة على ذوى الدخول المتوسطة أيضا التي تزيد على ٣٠٠ جنيه أو ٥٠٠ جنيه على الأكثر ، كما يلاحظ أيضا عدم تناسب تصاعد السعر في الضريبة ، فالتصاعد سريع في الدخول الصغيرة ، بطيء في الدخول الكبيرة .

ولا يتسع المجال في هذا البحث لبسط ما يصل اليه أصحاب الدخول الكبيرة من إيرادات وفيرة ، دون دفع ضريبة مناسبة ،

(١) تطور اقتصاديات الشرق العربي ، للاستاذ يونس الحرشي

وأغلب هذه الإيرادات تنفق في الترف والكماليات ، والملاهي .
ونود ان ننفت انظر الى أن مستوى المعيشة لا يرتفع بالوسائل
الاقتصادية ، بل بطرق اجتماعية أخرى نذكر منها نزعه بعض
الطبقات المتوسطة في اتفاق مدخراتها على الأشياء الكمالية مجزية
في ذك ذوى الزراء ، وهذه نزعة ملحوظة لدى كثير من متوسطى
الحال في مصر ، اذ يلقون اهتمامهم الى شراء الاثاث الفاخر ، واقتناء
البوتاجز والقسريجات ، والتثريات البصرية ، مما لا طقة
لايرادهم به ومما لا تنتفع به البلاد ، بل تعود أغلب ائمانه الى البلاد
الاجنبية التى تورء مل هذه الادوات .

والملحوظ ان الطبقة الفقيرة فى أكثر البلاد العربية ينجب تعدد
التوفر من الأبناء دون نظر الى وسيلة إعشتهم . وهذا راجع اما
لتعدد ازوجت ، او لكثرة حوادث الطلاق ، مما يؤدى الى وجود
مطلقات غير قادرات على أعيش فى كثير من الأحيان ، وهذه
الحالات المشجية جديرة بالالتفت وسن تشريعات لوقفها او الحد
منها كما اينأ عند الحديث فى اتاحية الروحية .

الروح الانساني

ولن تقوم قواعد الايديولوجية الجديدة الا باعتناق المبدأ الانساني على اوسع نطاق - فلا تحصر النزعة الانسانية على ابناء العروبة فقط ، بل تشمل انسانية باجمعها . ويقتضى منسأ هذه النزعة الايمان بالمعاشة السامية مع جميع البلاد ، والوقوف في وجه الدول النازعة الى الحرب وقفة استنكار عمى . لان السلام ضرورى كما يقول باسترناك لصالح الانسان وتقدمه الثقافي

والسلام ليس غاية ، انما هو وسيلة لتعاون اندولى الصادق والتعاون الاقتصادى والتجارى والثقافى - وقد ابنا فى غضون هذه البحث - ان هناك بعض دول استعمارية لاتبقى الا اتمارز على الدول الاخرى ، والا استغلال الدول الصغيرة التى يسمونها بالمتخلفة ، فلا يكفيهم حب البقرة ، بل ربطها من قرونها .

والى جانب هذه الدول ، وجدت كتلة من الدول الاخرى تختلف عنها فى نظمها الاجتماعى وفى ايدولوجيتها ، والحرب الباردة بين هاتين الكتلتين قائمة لايسكن تيارها ، واسباب هذه الحرب قد فصلناها فى البحوث السابقة .

وقد ابنا سالفا انه لامفر نزاع هذا النزاع المستتر انا ، والصريح انا آخر ، من وجود كتلة اسانية رائدة نفف وقفة ايجابية لمنع هذا النزاع الذى قد يودى اذا شبت حرب ثالثة الى التدمير والخراب وفناء المدنية .

وكان من الطبيعى ان تتزعم هذه الحركة الانسانية بلاد شمت من ارجائها الروحية الحققة ، وعلى راسها الهند ، ثم اجمهورية العربية المتحدة والحجاز . وتعان فى كل فرصة ، وفى كل مؤتمز موافقها احيلاية ومبادئها انسانية . ونزوعها الايجبى للمعاشة مع جميع الدول على قدم المساواة .

فى الصراع بين هونده واندونيسيا ، منعت الهند البوارج الهوندية من الوقوف على جوانبها ، كمبا فعنت ذلك فى حرب

انجذره مع الملايو ، كما منعت انبوارج الفرنسية من الدنو من
الشواطىء الهندية فى حربها مع الهند الصينية (١)

ووقفت مصر وقفة البطولة مجاهدة الاحلاف العسكرية التى
تزيد التوتر بين العسكريين الجبارين ، وشاركتها فى ذلك البلاد
العربية ماعدا حكومة العراق ، وانتهى قضيتك على بلادها بالعزلة
من العروبة ، واثارت حولها نقمة شعب العراقى آباىل

ولست فكرة الحياد فى مصر بنت اليوم ، واما هى فكرة ولدت
منذ عشر سنوات . بل ابعد من ذلك عندما ارادت انجذره جر
مصر الى معاهدة لدفاع المشترك بينهما ، وجهدت افكرة طليعة
الشعب المتحرر وبعض السياسه والمفكرين المصريين البصراء ، ومن
بينهم نذكر المرحوم محمود عزمى ، وكان من راي المرحوم حافظ
ومضان ان انجذرا . وامريكا اذا ارادتا اتخاذ مصر نقطة ارتكاز هجومى
لهما ، فعلى مصر السعى للحصول فى المحافل الدولية على قرار
بحيدة مصر ائمة فى أى نزاع دولى ، كما فعنت سويسرة التى
ظفرت بهذا الحياد وهى فى مركز متوسط بين دول اوروبا (٢)

واذا كان هذا الراى صعب التحقيق فى هذه الايام الا انه يدل
على ان فكرة الحياد ليست بنت اليوم ، ولا هى بنت الامس القريب
بل هى بنت الامد البعيدة ، فقد ذكرنا آنفا ان من اسباب الحضرة
المصرية فى عهد مصر القديمة هو بعدها عن الغزو .

وفى عام ١٩٥٥ صارت هذه الفكرة حقيقة مجسدة ، سارت عليها
حكومة اشورة ، وطبقته عمليا فى اتصالاتها بجميع آندول دون فارق
فعقدت اتفقت تجارية وثقافية مع الصين الشعبية . وبادلت
مخاصياتها من قطن وارز مع دول شرق اوروبا ، بعد ان كنت هذه
المخاصيل مقصورة على دول غرب اوروبا ، تشتريها باليمن الذى تحدده
المخاصيل مقصورة على دول غرب اوروبا ، تشتريها باليمن الذى
تحدده .

واصبح لمصر الحق فى استيراد آلات اللازمة لصناعتها بعد ان
كانت قبل ذلك لاتحصل الا على مواد استهلاكية ، ذلك لان سياسة

١ - الحياد الانجائى - سعد حماد ص ٨ يونيو ١٩٥٦

٢ - آراء واحاديث فى سبيل مصر .

الدول الاستعمارية كانت تبنى حصول بلد كـالجمهورية العربية المتحدة على الآلات اللازمة لتصنيعها ، وهي سياسة استعمارية عتيقة . من شأنها إبقاء الدول الفقيرة في مستوى معيشي منخفض .

وبفضل السياسة الحيادية صار لنا الحق في الحصول على مايزمننا من الآلات والمواد الخام اللازمة لصناعة من الدول التي تريد أن تعيش في سلام ، وتؤمن بأن رفع مستوى المعيشة في قطر متخلف يساعد على زيادة قوتها انشراعية من الدول الصناعية التي تتبادل معها محاصيلها الزراعية (١) لا الدول التي تدين بسياسة الاستغلال ، والاستعلاء ومركب السمو .

وإذا أصبحت فكرة الحياد حقيقة ، فما أجدر بالدول العربية شعوبا وحكومات أن تتخذها عقيدة ، وعنصرا من عناصر الايديولوجية العربية الجديدة ، لأنها تتبع أصلا من الروحانية السامية ، ومن الديموقراطية العالمية الصحيحة ، ومن الاشتراكية المنصفة .

١ - بحوث في الشؤون المالية والاقتصادية الدولية والقومية
للاسناد الكبير محمود صالح الفكي ج١ ص ٥٩ .

الخاتمة

وها نحن أولاء نضع انقام بعد هذه الجولات في التاريخ والفلسفة والاجتماع والسياسة والاقتصاد . وبعد ان رسمنا خطوطا عريضة للايديولوجية العربية الجديدة ، وقد ابنا فيها انه لا مفر لنا وسط البلية الفكرية احاضرة ، وتوزع الآراء بين فكريات متضاربة . من المآاذ الى فكرية موحدة نسير على هديها ، ونتصور بنورها .

.ورائنا ان الايديولوجية الغربية في لواذها اتى الاستغلال والقره قد فتدت انسانيتها ، وان الايدلوجية انطائفية لاتصلح لجيل العربي المعاصر ، وان الايدلوجية المادية اتى تلعى المكية وتدين بالوهة الدولة لا تصلح لواقع العربي ، ولا تتفق مع تقائده . اذ لكل امة تقاليدها وثقافتها ومزاجها ، ووضعها الاجتماعي ، وان هذه المقومات التى تشقق الايديولوجية منها كياها تختف من امة لامة

وقد استقصينا الايديولوجية العربية من تاريخ العروبة البعيد والحاضر فمسننا كيف ازدهرت الحضارة العربية فى القرون الوسطى بفضل تواصل قوميتها ، وقوة روحيتها ، وعشق كبير من افذاذها حب المعرفة . والنزوع الى التفكير ، بل التجريب ، وعلى امتصاص ثقافت الامم المجاورة . والتاثر بها تاثرا توجيهيا لا يطمى الى استقلالها وشخصيتها .

واذ نحن نشهد صحوة عربية شادة . بعد سبات قرون رائنا تبيان العوامل المؤدية الى التغير والتقدم ، وذكرنا على راس هذه العوامل ، العامل الثقافى والاقتصادى والانسانى واتينا بشواهد حضارية متغلغلة فى اقدم وشواهد حضارية من التاريخ الحديث وانتهينا الى انه لامناص لنا فى احداث نهضة عربية حقيقية من تمثى انزعة الروحانية فى نقائها وشفوفها ، ومن اعتناق مبدا الحرية والديموقراطية كأساوب حياتى وحكمى ، والمبادرة الى الروح الاشتراكى النصف ، لرفع مستوى المعيشة فى اقطارنا العربية ، واتحصن بالروح الانسانى العام الذى يقينا شر الاصطدام وكبات الحروب ، ويعاون على التقدم والرفاهية .

وعلى أضواء هذه العناصر الأربعة المتفاعلة المتكاملة تنمحي
التوترات في شعوب العربية ، وتتقوى روح المساواة والعسالة
والكرامة الانسانية ، وتجء الامم العربية شخصيتها وطبعها الاصيل
المميز لها بين الامم الاخرى .

واسنا بهذه الفكرات نعدو على عقيدة بعينها ، ولا نتخيف على
مذهب تعتنه بعض الجماعات ، وكنا في اخلاص يقرب بين وجهات
النظر ، باستنبات اصلح ما في الماضي من تقاليد ، ونستهدى
بانوضع العربي الحاضر ، والعمل على تغيير المعوج فيه ، وتطويره
لقابل مزدهر لعروبة . واذ كنا لجأنا في هذا التخطيط الى الفكرات
المجردة فقد اتبعناها باوسائل انعمية لتطبيقها بقدر ما اتسع له
مجال البحث . ويمكن تلخيص ماوصلنا اليه في النتائج الكبيرة
التالية وهي :

١ - اعتناق المبادئ الروحية السامية الداعية على المحبة
وانتسامح انحقيتين ، وبثها في معاهد العلم . والوقوف في وجه
الروح اطفائية المنميمة بين الافراد او الجماعات .

٢ - تثبيت قواعد الحكم الشعبي ، ونشر الروح الديموقراطية
على اوسع طاق والعمل على ايجاد التضامن بين الشعوب
وانحكومات عربية .

٣ - احداث ثورة صناعية تقوم على العلم والخبرة الفنية في كل
بلد عربي ، مع ايجاد التعاون الصادق بين اقطار العسروبة في
النواحي الاقتصادية والتجارية والثقافية .

٤ - متابعة الروح الاشتراكي المنصف للتخفيف من التفاوق في
الثروات ، وانتفاوت البعيد في الدخول .

٥ - الحسدر من محاولات الاستعمار ، وسعيه في التدخل في
شئون اي بلد عربي باة حجة . واعتناق مبدأ الحياد الايطابي ،
والعمل على توثيق العلاقات الاقتصادية والثقافية والتجارية ، مع
جميع الاقطار المحبة للسلام واتعاون انقثم على المساواة والمنفعة
البريئة المتبادلة .

٦ - العمل على احداث تغيير جذري في الكيان الاجتماعي باصليار

تشريعات تقليدية ، تقضى على روح السادية المنتشرة في كثير من
الأقطار العربية . وعلى أعداد والاعراف التي ترسبت في عهود
الظلام . ورفع مقام المرأة الى المكان اللائق بها . لتكون عاملا فعلا
من عوامل تقدم العربي .



هذه هي زبدة ما سجلناه في هذا البحث ، وفي غضون فترات
أخرى ليست أقل أهمية من تلك التي ذكرناها . وهي فترات
لا يفرض الأخذ بها في كل بلد عربي ، بل طرحها لبحث والفهم
عليها ثم الاتفاق بعد ذلك على ما يترشح من آراء قيمة صالحة لمجتمع
عربي صاعد .

وقد راج في أذهان بعض الأدباء والمفكرين أن وضع فكرية عربية
أمر سابق لأوانه . وأن العروبة ليست بحاجة الى مذهب أسوة
بالبلاذ الأخرى ، وأن إيجاد مذهب فوسفي خاص بها في مرحلتها
الحالية ضرب من المحال . وأن عليها أن تم شمل كياناتها المادية
والى أن يتم جمع هذا الكيان في دوة موحدة واتحادية ينبغي وضع
خطة لا مذهب . خطة مؤقتة تنتهي مهمتها بوصول العروبة الى
هدفها القصير . حتى اذا وصلت الى هذه النقطة بالذات ، تستطيع
أن تفكر في الفلسفة . وفي اعتناق المذهب التجديدية والتي هي ليست
غربية محضة ، ولا شرقية محضة (١) .

والحق أن وجود المذهب . . هو بمثابة مشكاة تكشف لنا معالم
الطريق ، وتوجه خطانا على أرض صلبة . وتجعلنا نتفق على
المبادئ الأساسية . نشب وثباتنا المرموقة في وعى وإدراك سليم
لاهدافنا المرجوة .

ولم تعد الفلسفة في الوقت الراهن آراء نظرية فحسب ، بل
أنها أعمال . لم تعد نظريات خيالية ، بل تطبيقات وجسولات
فهمية ، فضلا عن أن إيجاد مذهب الوايديونوجية ليس أمرا سابقا

(١) مجلة الآداب مقال : العروبة والمذاهب المعاصرة - على
بدور - يونيو ١٩٥٧ .

لاوائه ، فان الازهان العربية قد اثمرت في الثغرة الاخيرة خمائر
صلحة لذل هذه افكرية التي نلادى بها ، وفي بعض دساتير
البلاد العربية ما يشكل هيكلا لهذه افكرية .

فرجعة الى الدستور المصرى « قبل الوحدة » مثلا نجد ان المادة
الاولى منه تنص على ان الشعب المصرى جزء من الامه العربية .
ولعل هذه اول مرة يعترف فيها قانون عام بالقومية العربية . .

والمادة الرابعة منه تضع التضامن الاجتماعى اساسا للمجتمع
المصرى ، وبهذه المادة تعزيز لما جبت عليه الطبيعة المصرية من
بعد عن الصراع الطبقي ، وتكيد لهذه الطبيعة .

وتعترف المادة الخامسة منه بالعنصر الروحى ، فتتص على
ان الاسره اساس المجتمع وان قوامها الدين ولاخلاق والوطنية .
وبهذا نبتعد عن المذهب المادى الذى يقر وجود الدين كعامل من
عوامل التهذيب والتقدم .

فذا تقلمنا خطوة . وجدنا المادة السادسة تنطوى على
مبادئ الديموقراطية الرشيدة وتنص على ان الدولة تكفل الحرية
والامن واطمينة ، وتكافؤ الفرص للجميع .

وتتناول المادة السابعة والثامنة والتاسعة ، الكيان الاقتصادى
وتنطوى على اباحة تدخل الحكومى فى الاستثمارات الخاصة
للسالح العام . فتتص المادة السابعة على تنظيم الاقتصاد القومى
وفق حط مرسومة تراعى فيها مبادئ العدل والاجتماعية وتهدف
الى تنمية الانتاج ورفع مستوى المعيشة .

وتبيح المادة الثامنة حرية الاستثمارات الخاصة على الا تضر
بمصلحة المجتمع ، كما تنص المادة التاسعة على استخدام رأس
المال فى خدمة الاقتصاد القومى وان لايتعارض فى طرائق استخدامه
مع الخير العام للشعب .

ولم يقف هذا الدستور عند اناحية الروحىة والاقتصادية ، بل
شمل الكيان الاجتماعى فنصت المادة ١٨ على دعم الاسرة وحماية
الامومة والطفولة ، والمادة ٢٠ كفت حماية الناشئة من الاستغلال
ووقايتها من الاهمال الادبى والجسمنى والروحى .

فإذا تركنا هذه المواد ومثيلات لها ، وقعنا في ديباجة الدستور
على ديباجة رابعة توهت بفضل الشعب الذي أنتزع حقه في الحرية
والحياة بعد معركة متصدة ضد السيطرة الخارجية واسيطرة
الدائرية ، والذي يرسم لنفسه . مستهما اعطة من ماضيه والعزم
من حاضره . يرسم لنفسه معالم الطريق الى مستقبل متحرر من
الחסوف والذل والحاجة . ويبني بعمه الايجبي وكل طاقته
وامكانياته مجتمعا تسوده ارفاهية ويتم له في ظلاله القضاء على
الاستعمار واعوانه والقضاء على الاقطاع ، والقضاء على الاحتكار،
واقامة جيش وطني قوى . . . وعدانة اجتماعية . . . وحياة
ديموقراطية سيمة . .

فمثل هذه النصوص الرائعة هي لب لخير ايدى وواجبة عربية
اذا نهض الكتب والمفكرون الاذكياء لتوضيحها ، وبسط القول فيها
وبادرت الحكومة بتطبيقها تطبيقا صادقا ، وقد فصلنا الحديث
وحددنا القول في العناصر المؤدية الى التقدم والرفاهية في الاقليم
الجنوبى والبلاد العربية الاخرى .

والامل معقود على الصفوة المفكرة في التفاهم على اصول هذه
الايدولوجية وتفصيل هذه الاصول واشاعتها في الجمهورية العربية
وعلى الزعامة الديناميكية المناضلة . ورجاؤنا الوثيق السير على
نورها ، وفي الشعوب العربية كل اللقة في احداث تفسير المذكى
العاجل لمجتمع عربى متحضر هانىء سعيد .

هيئة قناة السويس

هكذا تعبر السفن القناة

٢ — استقبال السفن القادمة إلى بورسعيد

يراقب برج المراقبة الكائنان فوق مباني الهيئة في بورسعيد وبور توفيق وصول السفن القادمة من البحر ، وعندما تظهر إحداها يخطر قسم الحركة بوصولها .

وفي بورسعيد ، عندما تقترب السفينة من شندورات الإرشاد الخارجية للبوغاز تطلب المرشد إما رفع الإشارة الخاصة على أحد صواريخها أو بالتأنيذون اللاسلكي فتصل سفينة الإرشاد التابعة للهيئة والموجودة في عرض البحر بمكتب الميناء بواسطة التأنيذون اللاسلكي وتوافيه بكافة البيانات التي تفيد في تعيين المرشد اللازم لتولى عملية إرشاد السفينة في الميناء إذ يتم اختياره تبعاً لحرارة السفينة ونوع شحنتها .

اخترنا للطالب

تقدم يوم الاربعاء القادم
٧ فبراير سنة ١٩٦١

تطور الصنيع

في عالم البناء

بقلم
دكتور جمال حاد

الثمن قرشان

كتب ثقافية

تقدم يوم الخميس القادم
٩ فبراير سنة ١٩٦١

حجّة الاسلام

الغزالي
مترجم

طه عبد الباقي سرور

الدار القومية
للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة

كتب ثقافية

تقدم يوم الخميس القادم
٩ فبراير سنة ١٩٦١

حجة الاسلام

الغزالي
ابن

طه عبد الباقي سرور

الشمس قرشمان

الكتاب ٩٢

صدر يوم الثلاثاء ٧ فبراير (شباط) سنة ١٩٦١